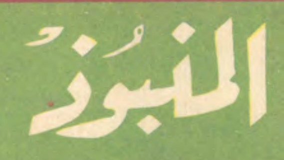
روايات عالمية

من الشرق والغرب



BELLE

إهـــــــداء2006

الدكتورة / امانى عبد الرازق خاطر

الإسكندرية

روايات

عالمية

العدد رقم ٢٧٤

المنبوذ

قصة بوليسية رائعة

للكاتب الفرنسي الكبير
جورج سيمنون

تعريب
حسن محمد أحمد

الفصل الأول

كثيرا ما يحدث للانسان منا ان ينتهز فرصة وحدته بين جدران بيته وخلوته الى نفسه فتبدو منه تصرفات غريبة او يأتى بحركات طبيعية يمارسها كل يوم فى حرية مطلقة بعيدا عن التكليف والقيود التى يفرضها المجتمع ، ثم يرفع بصره فجأة ويكتشف انه قد نسى اسدال الستائر . وان عيون العالم الخارجى كلها ترقبه وتتفرج عليه ! .

هذا ما وقع للسيد سبنسر آشبى .. او على الاصح ، شيء قريب من هذا وقع له .. اذ ان احدا لم يتفرج عليه او يلق اليه انتباها فى ذلك المساء .. وهو منفرد بنفسه بعيد عن ضجة العالم الخارجى .. حتى صوت الجليد الذى كان يقرع النوافذ وهو يتساقط من السماء .. لم يكن يصل الى سمعه فى عزلته .. ومع ذلك فطالما تمنى بعد ذلك لو ان طفيليا معه آلة فوتوغرافية قد رآه وسجل عليه حركاته ! .

لم يكن هو او اى انسان آخر فى الدنيا يتوقع ان كل حركة اتاها او خلجة من خلجات نفسه سوف تفحص وتدرس فى عمق وامعان تحت مجهر مكبر يوضح الصورة ويكبرها مئات المرات وكأنها جرثومة ضئيلة شديدة الخطورة ؟ .

ماذا تناول على مائدة العشاء فى ذلك المساء ؟ . لم يكن حساء او بيضا ولا قديدا محمرا . بل كان احد تلك الاطباق التى اعتادت اكريستين أن تفتن فى طهوها لتفاخر صديقاتها بأنها قد اخترعت لونا جديدا من الوان الطعام . خليطا من مختلف انواع اللحوم وبعض حبات البقول تحت طبقات من « المكرونة الاسباجيتى » المخلوطة بالجبن .. نعم .. انه يذكر ذلك ويذكر أن زوجته سألته : « أواثق انت من انك لا تريد مرافقتى الى دار آل ميتشل ؟ »

وكان الجو فى غرفة الطعام حارا جدا .. وهو يذكر جيدا ان وجنتى زوجته كانتا شديدتى الاحمرار .. ولا يدرى لماذا يتذكر احمرار وجنتيها الشديد دون باقى ما حدث فى اثناء العشاء ؟ والذى تبدو تفصيلاته كأنما تغرق فى ضباب كثيف .. كانت بيل موجودة معهما بكل تأكيـد .. وهو واثق من ذلك تماما وان كان لا يتذكر لون ثوبها ، او فيم كانت تتحدث وقتذاك . وهو لم يشترك فى الحديث .. اذن كانت زوجته وبيل هما اللتان تديران دفة الحديث ، بيد انه حين جاء دور الفاكهة وبدا كل منهم فى تقشير تفاحته سمع بيل تذكر شيئا عن الاقلام والمسرحيات العالمية وبعد ذلك استاذنت منصرفة .

فهل ياترى قد ذهبت الى المسرح .. الى السينما ؟. قد يكون ذلك محتملا وهى لا تبعد عن الدار بأكثر من نصف ميل .

ولقدكان مولعا بالمشى تحتالثلج المتساقط وخاصة ذلك الذى يسقط مبكرا فى اول الموسم ، حيث تبعث فيه ذكرى ممتعة لشتاء سوف يستمر بضعة شهور أخرى . وستخرج احذية المطاط الطويلة من مخبئها فتصف بجوار الباب الخارجى ، بجانب جاروف الثلج الكبير .

وكان قد تناهى الى سمعه صوت الصحاف والأطباق وكريستين تضعها فى حوض الماء الساخن ، وهو واقف يحشو غليونه بالطباق امام المدفأة فى غرفة الجلوس . ولم تكن زوجته قد اشعلت المدفأة من اجله ، فهو قلما يستعمل غرفة الجلوس . ولكن لانها كانت قد دعت بعض صديقاتها على الشاى .

قالت له :

ـ اذا لم اعد قبل ان تاوى لفراشك .. فاغلق عليك الباب .. المفتاح معى ..

ـ وهل دبرت امر « بيل » ؟ .

ـ ستشهـد بيل العـرض الاول ولن تتخلف فى عودتها عن العاشرة على الاكثر .

كان كل شيء يسير كالمألوف .. كما يحدث عادة وليس فيه ما يستحق التسجيل .. وصوت كريستين يصل الى اذنه من غرفة النوم .. وحينما وقف ببابها كانت ترتدى قميصها الاحمر الذى تنبعث منه رائحة خفيفة من النفتالين .. ولكنه حول وجهه وادار عنها بصره حتى لا يراها وهى ترتدى ثيابها .

وانصرفت كريستين .. وسمع صوت محرك سيارتها يبتعد عن الدار .. فهى مولعة باستعمالها اينما ذهبت رغم أن مسكنها لا يبعد كثيرا عن المدينة .. بل يكاد يكون فى نطاقها .

ولقد بدأ يخلع سترته ورباط رقبته .. ثم فتح زرار ياقته . وبعد ذلك جلس على حافة فراشه لينتعل خفيه . فى نفس المكان الذى كانت تجلس فيه زوجته .

انه يجد صعوبة كبرى فى استعادة كل تلك التفصيلات .

ولقد اوشك ان ينسى انه انطلق الى المطبخ حيث فتح الثلاجة وتناول منها زجاجة الصودا .. وانه ايضا فى اثناء مروره بغرفة الجلوس قد انحنى ليلتقط مجلة « نيويورك تايمز » من فوق المائدة الصغيرة ثم حافظة اوراقه من فوق رف الخزانة .. وكانت يداه مشغولتين بما يحمل حتى وصل الى مقره او عرينه ــ كما اعتاد أن يطلقه عليه ــ وهناك واجهته كالعادة مشكلة فتح وغلق الباب دون أن يسقط شيئا من يده .

ويعلم الله وحده فيم كانت تستعمل تلك الغرفة .. قبل ان تهذب وتنسق ويتخذاها سكنا ؟ . ربما كانت مغسلا للثياب او ورشة للحدادة او مخزنا للطعام والخمور ؟ . لكنه كان يميل اليها لانها على خلاف باقى الغرف المألوفة .. فهى تحت درج البيت ولها سقف منحدر ، وارضها من الحجارة الكبيرة غير منتظمة الشكل ، ونوافذها مرتفعة بحيث لابد من جذب حبل يلتف حول بكرة .. حتى يمكن فتحها او غلقها .

وهو الذى قام باعدادها وتجهيزها بنفسه وبيديه ، الطلاء والرفوف فوق الجدران والانوار الكهربية وتوصيلاتها المعقدة . حتى تلك السجادة الفارسية الصغيرة التى تغطى الأرض الحجرية

عند نهاية الدرجات الثلاث قد اشتراها بنفسه من احدى صالات المزادات .

لقد ذهبت كريستين لتلعب البريدج لدى أسرة ميشيل .

وهو لا يدرى لماذا يدعوها فى ذهنه كلما تذكرها بلقب «ماما» رغم انها لا تكبره بأكثر من عامين ؟ . ربما لانه اعتاد أن يسمع أصدقاءه ممن انجبوا أطفالا ينادون زوجاتهم بلقب ماما ! . وكان ذلك يسبب له الحيرة حين يتحدث معها .. وتثب الكلمة الى ما بين شفتيه فيضطر الى حبسها وابتلاعها كأنما يوشك ان يرتكب اثما .
وحين لا تلعب البريدج .. تخوض فى السياسة او فى أغلب الاحيان تتحدث فى المشروعات الاجتماعية .

وهو ايضا يعمل فى خدمة المجتمع . وحيدا فى وكره أو عرينه يصحح كراسات التلاميذ فى مادة التاريخ التى يقوم بتدريسها فى مدرسة « كرستيفو » .. وهى مدرسة اعدادية تخدم منطقة واسعة وبها طلبة يفدون اليها من نيويورك ومن شيكاغو ومن الجنوب حتى سان فرنسيسكو .

وكريستين تعتبر نفسها احدى رائدات الخدمة الاجتماعية .. وتحرص على أن تنشر نشاطها بين مختلف الميادين فى تلك القرية التى لا يتجاوز عدد سكانها الالفين .. وتحث كل معارفها وصديقاتها على أن يشاركنها فى ذلك النشاط ، مع ماتعمله يقينا أن غالبية السكان يرتبطون معا برباط القرابة او المصاهرة .. كما يحدث دائما فى القرى الصغيرة التى تتألف من عائلات وأسر قديمة تشعبت واتصلت باواصر القربى فيما بينها ..

وانه وان كان فردا واحد ابناء ذلك المجتمع الهادىء الصغير لكنه لم يولد فيه .. فهو ليس من ولاية كونتاكت بل من أقصى شمال ولاية نيو انجلاند .. ومن مدينة فيرمونت بالذات ، وكان فى الرابعة والعشرين حينما قدم لتلك المنطقة لاول مرة .. ليشغل وظيفة التدريس فى كرستفيو .. ومنذ ذلك الوقت ولا يعرف موطنا خلاف تلك البلدة ولم يبرحها لاى مكان آخر . فاذا سار مع زوجته فى الطريق سمع من يناديه فى ود وصداقة :

ـ هالو .. كيف انت يا سبنسر ؟.

كان محبوبا من الناس جميعا .. كافة الطبقات . وكان هو يحبهم ايضا كأهله وقومه . كما كان يعشق مهنته ويجد لذة ومتعة عميقة فى مراجعة اوراق الاولاد فى مادة التاريخ اكثر من اية مادة ثانوية أخرى يناط به تدريسها .

وقبل ان يبدأ عمله ؛ تناول زجاجة الشراب وكأسا من الخزانة. وفتاحة الزجاجات . وقد فعل كل ذلك بطريقة آلية دون ان يعرف ماذا كان يشغل باله وقتذاك .

وكانت احدى الوريقات تخص بوب ميشيل ابن صاحب الدار الذى انطلقت اليه كريستين لتلعب البريدج وابوه « دان ميشيل » المهندس المعمارى الذى يتلهف للحصول على عقد مع البلدية لتشييد بعض المبانى ؛ وفى سبيل ذلك كان يكثر من دعوة كبار المسئولين وذوى الحيثيات الى منزله ..

وجد ان بوب ميشيل لا يستحق اكثر من ست درجات فى مادة التاريخ . فوضع سبنسر الدرجة بقلمه الأحمر .

وكان يسمع من حين لآخر صوت احدى سيارات النقل ومحركاتها تزأر بشدة صاعدة التل الذى لا يبعد أكثر من ثلثمائة ياردة عن المنزل . وهو الصوت الوحيد الذى كان يتناهى الى اذنيه. فلم يكن بالغرفة ساعة حائط تزعجه بدقاتها ، وما كانت به حاجة لان ينظر فى ساعته .. فعملية تصحيح الأوراق لا تستغرق عادة أكثر من أربعين دقيقة . واعاد الأوراق الى حافظته واغلقها ثم حملها الى غرفة الجلوس حيث اعتاد ان يجهز فى المساء ما سوف يحمله فى الصباح .. حتى ذقنه لم يكن ينسى أن يحلقها قبل ان ينام لاضطراره لمبارحة الدار فى ساعة مبكرة كل صباح ..

وكانت الستائر المعدنية المركبة على نوافذ غرفة الجلوس مفتوحة ولم يكن يسدلها فى اغلب الاحايين الا قبل أن يأوى الى فراشه.. وربما تركها مفتوحة طول الليل اذا لم تنتبه زوجته الى ذلك فتسدلها بنفسها .

ووقف برهة يتأمل الثلج المتساقط كالقطن المندوف ، ومد نظره الى دار آل تيشان .. ولمح السيدة تيشان جالسة الى العزف وهى

ترتدى معطفا منزليا احمر اللون ، وكانت تلعب عليه فى حرارة وانسجام شديدين ، لكنه لم يكن يسمع صوت الموسيقى من خلال النوافذ الزجاجية ..

وجذب الحبل .. فسقطت الستائر المعدنية .. كما يحدث كل يوم تماما .. ثم انطلق الى غرفة النوم ليغير ملابسه .

هل عاد مرة اخرى الى المطبخ ؟ لم تكن به حاجة الى مزيد من الصودا .. فالزجاجة الاولى تكفيه طول السهرة .. ولكنه يذكر انه وضع فى جيبه بعض الاخشاب الصغيرة ثم توجه الى المغسل .

والاهم من ذلك جميعه .. هو ما فعله خلال الساعة التى تلت ذلك والتى قضاها فى مصنعه الصغير ، حيث انهمك فى صنع حامل خشبى وقاعدة لمصباح جميل .

وكان مولعا بقضاء وقت فراغه فى تصنيع الخشب الى اشكال زخرفية .. وكثيرا ما احال القطع الصماء الى روائع فنية وطالما اهدى انتاجه الجميل الى صديقات زوجته وضيوفها .. كذلك كانت كريستين تعرضها فى سوق الخير والبر وتحصل على مبالغ طيبة تضعها فى صندوق الخدمة الاجتماعية بالقرية . وقد عكف حينئذ على صنع حامل المصباح وقاعدته ليجعلها تحفة ثمينة تليق لان يهديها لكريستين فى عيد ميلادها القريب . فالمنشار الكهربى نفسه هدية منها اليه تقديرا لموهبته وفنه قدمته اليه منذ اربعة أعوام .. ومنذ ذلك الحين وهما يعيشان معا على وفاق تام ومودة متبادلة .

ومزج كاسه الثانية وهو مستغرق فى عمله .. وكان من حين لآخر ينسى غليونه .. فيمد يده ويدفعه الى فمه فينهل منه انفاسا عميقة ثم يضعه بجانبه حتى يظل مشتعلا .

وكان يجد متعة فى تشكيل قطعة الخشب تحت المنشار الكهربى كما كان يجد لذة فى صوت المنشار وهو يأكل حوافها وينشر حوله غبارا من النشارة الرفيعة ..

ولابد انه قد اغلق باب وكره . لانه يفعل ذلك دائما حتى يضمن عزلته واستغراقه فى عمله دون ان يقطع عليه انسان أفكاره . تماما

كما يدفن الانسان نفسه بين اغطية فراشه لينعم باسعد الاحلام .
ورفع بصره فى وقت ما عن الآلة التى يجلس امامهـا ، فاذا به يشاهد (بيل) واقفة فى أعلى الدرجات الثلاث .. ولكنه لم يسمع ما كانت تقوله له ، بسبب صـوت المنشـار الذى كان يدور حـول قطعة الخشب بيد أنه شاهد شفتيها تتحركان .

واشار لها براسه ان تنتظر .. فما كان بوسعه ان يوقف الآلة قبل ان ينتهى من تشكيل حرف القـاعدة الخشـبية ، وكانت بيل ترتدى قبعة رخوة سمراء « بيريه » فوق شعرها الكستنائى الجميل . ولم تكن قد خلعت بعد معطفها ولا حذاءها المطاطى الطويل .
ولم يكن يبدو عليها المرح كعادتها .. او كما توقع بعو عودتها من السينما .. بل كانت تاوح ممتقعة اللون قليلا .. ولم تقف الا لحظة خاطفة .. وأكبر الظن انها لم تدرك ان صوتها لم يصل الى اذنيه ، فاستدارت منصرفة .. وخيل لسبنسر من حركات شفتيها انهـا تقول له « طابت ليلتك » .

ولم تغلق الباب خلفها جيدا فى اول مرة ، فقد كان «المزلاج» جافا .. فعادت أدراجها وجذبته اليها بشـدة واوشك سبنسر ان يناديها وهو يعجب ما الذى كانت تقوله له قبل ان تحييه تحيـة المساء . وخيل اليه .. انها تنوى الخروج ثانية .. ولا غرابة فى ذلك . فانها كانت فى الثامنة عشرة ولا تحمل للدنيا همـا ، وكثيرا ما كانت تقبل دعوات الاولاد فترافقهم الى شتى المسارح .. ولا بد ان احدهم قد أوصلها بسيارته للبيت ..

ولو لم يكن مستغرقا فى اتمام اهم جزء من القاعدة الخشبية فى تلك اللحظة ، لتغير وجه التاريخ .. ولما حدث شيء مما حدث !

وبالرغم من انه لم يكن يؤمن بالهواجس .. فقد شعر بانقباض خفى .. وكان ذلك بعد انصرافها بثوان .. حينما أوقف الآلة .. ورفع راسه وارهف اذنيه فى حدة .. وتساءل ترى هل حضرت بيل فى سيارة فعلا .. وهل انصرفت فى نفس السـيارة ؟. اذا كانت قد فعلت .. فلا بد ان صـوت المنشار الآلى قد غطى على صوت السيارة ، ولا بد انها الآن قد ابتعدت كثيرا عن البيت .

ولا يدرى لماذا شعر بذلك الاهتمام المفاجيء بها ؟ أكان سبب ذلك دهشته لما لاح عليها من حزن لم يكن يتوقعه من فتاة قضت سهرة جميلة فى الخارج .. أم لامتقاع وجهها الذى خيل اليه انه لمحه من خلال الضوء الباهر الذى كان يغمر الغرفة ؟ ..

لقد كان فى وسعه أن يصعد اليها ويتأكد من أنها فى حجرتها وأن شيئا ما لم يزعجها .

لكنه لم يفعل شيئا من ذلك .

بل ظل مكانه .. واعاد حشو غليونه من وعاء التبغ الذى يحتفظ به على نضد مجاور ، بعد أن افرغ الرماد جانبا فى المنفضة .. واخذ جرعة من كأسه وعكف ليتم ما بين يديه .. فقد كانت قطعة الخشب معقدة التشكيل حقا ، وتحتاج لمزيد من العناية والفن حتى تليق بأن تكون هدية حقا ..

وفى غمار استغراقه فى عمله .. نسى بيل .. بل نسى كل شيء فى الدنيا .. الى أن دق جرس التليفون .

ومد يده الى السماعة .. فقد كانت لديه فى مصنعه الصغير توصيلة خاصة ..

ـ سبنسر ؟.

كانت المتحدثة هى كريستين وقد سمع أيضا أصواتا غريبة وضحكات يتردد صداها من بعيد .

سألته :

ـ أمازلت تشتغل ؟.

ـ سأنتهى بعد عشرة دقائق او نحو ذلك ..

ـ هل كل شيء على ما يرام ؟. هل عادت بيل ؟.

ـ اجل .

ـ أمازلت مصرا على عدم الحضور لتلعب معنا دورا من البريدج؟ استطيع أن أرسل اليك احدى السيارات هنا لتحضرك اذا اردت..

ـ لا اشعر برغبة فى ذلك ..

ـ فى هذه الحالة .. لا تنتظرنى .. وربما تأخرت فى العودة .. بل قد أتأخر كثيرا لأن ماريون واوليفيا قد وصلتا الآن فقط مع زوجيهما .. وسوف نبدأ شوطا جديدا ربما استمر طويلا .

وسادت فترة صمت قصيرة .. كان يسمع فيها رنين الكئوس، وكان يعرف البيت .. وغرفة الجلوس الكبيرة ذات الارائك الطويلة المقوسة المكسوة بالمخمل الأحمر ، وموائد البريدج المستديرة المتحركة .. بل يعرف ايضا اين يوجد المطبخ والثلاجة التى يحصلون منها على قطع الثلج ..

ــ اواثق انت من انك لا ترغب فى الحضور .. ان الجميع هنا يودون لو شاركتنا السهرة ..

وسمع صوت دان ميشيل وهو يصيح فى التليفون ..

ــ تعال الينا .. ايها المقامر العجوز !.

ثم سمع صوت زوجته وهى تسأله :

ــ بماذا أجيبه .. هل سمعت ما قال ؟.

ــ شكرا .. سوف أظل هنا .

ــ حسنا .. طابت ليلتك .. وساجتهد الا اوقظك حين أعود.

ونظف المنضدة من نشارة الخشب .. وهو الذى يتولى ذلك دائما لان أحدا لايدخل الى عرينه الذى يقوم بكنسه وغسله بيده مرة كل اسبوع . وكان فى أحد الأركان مقعد من الجلد ذو مسندين مقعد قديم جدا منخفض جدا .. من النوع الذى لاتراه الا فى الدور البالغة فى القدم .. فجلس فيه ومد ساقيه أمامه ومضى يتصفح مجلة نيويورك تايمز .

ونهض بعد فترة من الوقت ومعه زجاجة الصودا والكأس الفارغة فذهب الى المطبخ حيث توجد ساعة كهربية كبيرة مثبتة على الجدار .. لكنه لم ينظر اليها .. ولم يخطر بباله أن يفعل . كذلك حين كان يخترق الردهة لم ينظر الى باب غرفة بيل .. فلم يكن يهتم بها كثيرا رغم أنها تقيم معهما منذ وقت طويل .. لفترة مؤقتة، لأنها لم تكن فعلا من أهل البيت .

وتأكد من أن الستائر المعدنية مسدلة تماما ، واغلق الباب ثم بدأ يخلع ثيابه وهو يضع كل قطعة منها فى مكانها المعتاد ثم .. فى وقت لايستطيع تحديده .. انطلق الى فراشه وتمدد .. ثم اطفأ آخر الأنوار .

وقبل ان يغمض عينيه ويستغرق فى النوم كان يشعر بكل شيء حوله فى البيت ، بالنار التى اوشكت أن تخبو فى مدفأة غرفة الجلوس .. بالثلج الذى كان يتساقط ويصافح الجدران من الخارج فى لطف .

وكان يشعر ايضا بآل نيشان فى الجهة المقابلة من الطريق .. وبباقى الجيران فى الدور المجاور وبالانوار التى تنبعث من النوافذ ويفكر ايضا فى مائة وثمانين طالب ينعمون بالنوم فى مدرسة كرستفبو .. ذات الجدران الحمراء على قمة التل ..

كل ذلك كان يشعر به ويفكر فيه قبل ان يغمض عينيه .. وينام ..

وحين دق جرس المنبه فى السابعة . شعر بكريستين تتحرك بجواره .. تنهض قبله كالمعتاد .. وتنطلق الى المطبخ لتضع ابريق الماء فوق الموقد .. تعد القهوة .

ولم يكن لديهما خادمة مقيمة .. انما كانت هناك امراة تتردد للنظافة مرتين كل اسبوع .

ونهض متكاسلا . وازاح الستارة لينظر الى الطريق ، وكان الوقت بعد الفجر ونور الصباح مازال بعيدا فى الأفق .. والثلج الابيض يلمع على ارض الطريق وفوق حواف النوافذ والجدران وكانه مسحوق الطباشير ولاحظ ان قطرات من الماء تتساقط من حافة النافذة كما لو كان الثلج قد بدا فى الذوبان . ولو حدث ذلك .. لامتلأت الطرقات بالبرك والأوحال .. وأحزن الأولاد فى المدرسة .. الذين يحلمون بالتزحلق على الجليد واللعب بكرات الثلج .

وكانت الساعة السابعة والنصف .. عندما دخل المطبخ حيث كان الافطار معدا على المائدة الصغيرة .. وكانت كريستين تمشط شعرها .. وعجب هل اخطأت عيناه وهو يرى لون شعرها .. ان فيه لبياضا .. وقد كان دائما ذهبيا فهل تراها استعملت نوعا من الأصباغ ؟ ولم يحدثها فى ذلك بالطبع .

كان يعشق رائحة القهوة .. والقديد المحمر بالبيض .. كما يعشق عطر زوجته وهو يختلط بكل ذلك ، فهو جزء لايتجزا من

متعة كل صباح . حتى ليستطيع تمييز زوجته من عطرها لو اغمضي عينيه وكلفوه بالبحث عنها وسط الملايين ..
وسألها :
ـ هل ربحت ؟.
ـ ستة دولارات ونصف . وخسرت ماريون وزوجهـــا كل ما معهما كالعادة خسرا اكثر من ثلاثين دولارا .
وكانت ثمة ثلاثة مقاعد حول المائدة الصغيرة ولكنه نادرا مـا تناولت بيل طعام الافطار معهما . وما كانا ليوقظاها فى تلك الساعة المبكرة وكثيرا ما كانت تاتى وقـد اوشكا على الانتهاء منه مرتدية ثيابها ومنتعلة خفها المنزلى .. لذلك لم يدهش آشبى حينما لم يرها فى ذلك الصباح .
وكانت كريستين تتحدث :
ـ وكما اخبرت ماريون.. هذه القرية تحتاج منا ـ حتى ترقع مستواها الى ..
ولكنه لم يذكر شيئا مما قالته . فهو كلام طالما ســمعه ويدور دائما فى محور واحد هو الخدمة الاجتماعية .. الموضـــوع الذى يشغل بالها ويتخلله قائمة طويلة من أسماء الأشخاص الذين لا يشعر نحوهم بأى اهتمام وان كان يعرفهم جميعهم .
ومع ذلك .. فقد كان كل هذا قليل الأهمية بالنسبة اليه . . لأنه لم يكن يعلم بما حدث .. كذلك لم يكن أحد آخر قد علم به بعد .
وكل ماخطر بباله أنه لابد من أن يتحمل ثرثرة زوجته . . فالقرية كلها وهى تنفض النوم من عينيها تبدأ فى تحريك ألسنتها بالحديث تتحدث النساء فى الحمامات والمطابخ وامام الابواب على حين ينهمك الرجال فى ارتداء الاحذية المطاط الطويلة التى سيخوضون بهـا فى الجليد والماء ..
ولم ينس حافظة أوراقه .. فهو لا ينسى شيئا ابدا ..
ووضع غليونه فى فمه .. ينهل منه أول انفاس الصباح . واتخذ مقعده امام عجلة قيادة سيارته وهو يلمح بطرف عينيه معطف السيدة «نيشان» ذا اللون الأحمر وهو يبدو من احدى نوافذها .

وكانت ثمة دور متعـددة متناثرة على سفح التل تحيط بها حدائق صغيرة كان الثلج يغطيها وقتئذ ، بعضها حديث البناء مثـل دار آل نيشان ولكن اغلبها من الطـراز القديم المعـروف فى ولاية نيوانجلاند ..

ومنها يبدا الطريق الرئيسى فى اول مكتب البريد ثم ينحدر مع ثلاثة محلات للبقالة وبعض المتاجر وينتهى بمحطة للبنزين على كلا الجـانبين ..

وتوقف آشبى عند بائع الصحف ليشترى صحيفة الصـباح المحلية .. وسمع أحدهم يقول :

ــ يبدو انها ستمطر ثلجا بعد برهة وجيزة .. وربما هبت علينا عاصفة شديدة قبل حلول الليل ..

وسمع نفس الشىء .. ونفس العبارات فى مكتب البريد ... ويبدو أن الناس قد استقوا معلوماتهم من نشرة الأرصاد الجـوية التى اعلنتها اذاعة الصباح .

وبعد أن عبر النهر .. مضى فى الطريق المنحنى الصـاعد الى المدرسة واكثره مملوك للمدرسة يغطى جزء منه مجموعة من الاشجار على شكل غابة صغيرة وفى القمة حوالى اثنى عشر مبنى للتلاميذ .. بخلاف المبانى المخصصة للاساتذة .. ولولا ان لكريستين منزلا مملوكا لها خاصة ، لكانا يشغلان احدى تلك البيوت الخاصة بالمدرسة .. ولقد كان يسكن آشبى نفسه ــ قبل أن يتزوج ــ ولسـنوات عديدة سابقة فى ذلك الجناح الكبير ذى السقف الأخضر والمخصص للمدرسين العزاب .

وترك آشبى سيارته فى الحظيرة الخارجية حيث كانت تقف سبع سيارات اخرى ..

وما كاد يبدأ فى ارتقاء الدرج الامامى حاملا حافظة أوراقه فى ثقة واعتداد ؛ حتى فتح الباب واندفعت منه سكرتيرة المدرسـة ــ الآنسة كول ــ ووقفت تسد الطريق فى وجهه ..

ــ لقد اتصلت زوجتك بنا منذ لحظة .. وهى ترغب فى عودتك للبيت فورا ..

ــ هل أصابها مكروه ؟

ــ لا .. انها بخير . فى الحقيقة لست أدرى . ولكنها طلبك منى ان اطمئنك حتى لا تفزع .. والحث فى أن تسرع بالعودة دون اى ابطاء او تأخير ..

وتحرك محاولا أن يتجاوزها ليدخل المبنى وفى نيته انيتصل بها من مكتبه تليفونيا ..

ــ لقد اكدت بان عليك ان تسرع بالذهاب اليها فى الحال دون ان تضيع وقتا فى الاتصال بها تليفونيا ..

وقطب حاجبيه عابسا .. وقد أستبدت به الحيرة .. الحيرة فقط .. لانه فى الواقع لم يشعر باى اضطراب جدى ..

ــ فى هذه الحال .. ومادام الامر كذلك .. فارجو ان تبلغى السيد الناظر ..

ــ لقد فعلت ذلك توا ..

ــ حسنا .. ارجو أن أعود قبل أن تنتهى الحصة الأولى ..

وغضب منكريستين ، وخاصة انها لم يسبق لها انفعلت ذلك من قبل . كانت لها اخطاؤها بلا ريب كغيرها من الناس .. بيد انها لم تكن من نوع النساء اللاتى ينفعلن لاتفه الأسباب حتى تزعجه فى المدرسة . فهى من ذلك الطراز الذى يبدأ باستدعاء سيارة الاطفاء لو شب حريق فى الدار ، أو الطبيب لو حدث مرض مفاجىء او حادث طارىء دون أن تطلب منه الحضور بهذا الاسلوب المثير ..

ولمح وهو فىطريقههابطا التل ، جاره دانميشيل يقوميتوصيل ابنه بوبللمدرسة ، وخيلاليه أن دان لم يرد علىتحيته بابتسامته المعتادة .. فى حين كان يجدر به ان يستوقف آشبى ويسأله مثلا عن سبب انطلاقه للدار فجأة فى هذا الموعد الذى ينبغى أن يكون فيه بين تلاميذه .

واشرأب بعنقه وهو يخترق الطريق الرئيسى عله يجد امامهشيئا غير طبيعى ولكن الطريق كان فى منتهى الصفاء والهدوء .. وليس فيه اى جديد. كذلك لم ير شيئا غريبا حول داره جاذبا للانظار ، بيد انه حينما انحرف فى الممر الضيق الموصل الى البيت لاحظ وجود سيارة الدكتور ولبورن فى الحظيرة ..

ومضى مسرعا يوسع الخطا .. وبحركة آلية دس غليونه فى

بجيبه .. ومد يده ليدق الجرس .

وقبل أن تصل يده اليه .. فتح الباب فجأة .. تماما كماحدث له فى المدرسة منذ فترة مضت ..

وفوجىء عندئذ بماليس فى حسبانه .. وبدأ يمر بتجربة عنيفة لم يسبق أن صادفته فى حياته أبدا ..

وكان ولبورن ـ وهو طبيب المدرسة ايضا ـ رجلا فى الخامسة والستين .. يشعر نحوه اغلب الناس بالنفور لنظراته الساحرة الغريبة .

فتح ولبورن الباب ، ووقف جامد الوجه صامتا يمعن فى النظر من تحت عويناته كأنما يتفحص جرثومة غريبة لم يشاهدها من قبل . على حين وقفت كريستين فى الظلال البعيدة وقد حولت وجهها ناحيته .

وأحس آشبى بالضيق والانزعاج .. فى تلك اللحظات القليلة التى كانت نظرات ولبورن تلتهمه فيها ، وهو واقف كالموت فى مدخل الدار .. يفتح له الباب وكانه صاحب البيت يستقبل ضيفا غير مرغوب فيه ، أو أحد حجاب محكمة الجنايات يدعو متهما للمثول أمامها ..

واستعاد آشبى هدوءه فى جهد شديد .. وسمع نفسه يقول :

ـ ماذا حدث ؟.

ـ ادخل !.

ووجد نفسه يطيع الأمر وينطلق الى غرفة الجلوس ويتوقف عند بابها ثم يبدأ فى خلع حذائه الطويل .. ومع ذلك فلم يفكر احد فى أن يخاطبه كانسان له كافة الحقوق فى بيته ..

ـ كريستين ! هل هنا احد مريض ؟.

وتحول بحركة لا ارادية نحو الردهة وهو يقول :

ـ اهى بيل ؟.

ولاحظ بطرف عينه ان الطبيب يتبادل النظرات الخفيه مع زوجته . ولقد استطاع بعد ذلك أن يترجم معنى تلك النظرات . وكانت كريستين تقول للطبيب :

ـ هل رأيت ؟ بالتأكيد لايبدو عليه ما يدل على انه يعلم شيئا .. ما رأيك ؟.

واجابها ولبورن .. الذى لم يكن آشبى يشعر نحوه باية كراهية من قبل ..

ـ قد تكونين على حق .. وكل شىء محتمل .. اليس كذلك؟ على اى حال هذا شانك انت !.

وقالت كريستين فى صوت مرتفع :

ـ شىء مريع يا سبنسر .

وخطت فى الودهة خطوتين للامام ثم استدارت تسأله :

ـ أواثق انت من انك لم تغادر الدار ليلة امس ؟.

ـ بكل تاكيد .

ـ ولا فى اى لحظة ؟.

ـ انتى لم ابرح الدار بتاتا .

والقت نظرة اخرى ذات معنى نحو الطبيب .. وخطت خطوتين آخريين .. كانت مستغرقة فى التفكير . ثم توقفت ..

ـ الم تسمع شيئا غريبا طول المساء ؟.

ـ ابدا . كنت اشتغل على المنشار الآلى .. لماذا ؟. ما معنى كل ذلك بحق الشيطان ؟.

وكانت كريستين قد وصلت للباب .. قالت :

ـ لقد ماتت بيل .

واحس كانما احد يلكمه فى بطنـه بقسوة وعنف . ربمـا لان ذلك آخر ما كان يتوقعه بعد كل تلك المعميات والألغاز التى صادفته منذ الصباح .. وشعر برغبة حادة للغثيان .. وكان ولبورن يراقبه فى حذر ويحصى عليه حركاته ويقطع عليه سبيل الفرار لو فـكر فيه ..

وحدثته غريزته بان وفاتها ليست طبيعية .. والا ما أحدثا تلك الضجة الكبرى . ولكن لماذا يقف امامهما متخاذلا ضـعيفا يكاد يتهاوى على نفسه ؟ حتى صوته كان غريب الوقع على اذنيه وهـو يتسـاءل :

ـ وكيف ماتت ؟.

وفهم بغتة ماكانا يفكران فيه .. أدرك بفريزته انهما يريدان منه دخول الفرفة .. كأنما ليواجه باختبار حيوى حاسم قد يترتب عليه نتائج هامة .

ولم يجد تعليلا لتردده واحجامه .. أو لشعوره بذلك الخوف الذى بدا يعصر قلبه ؟.

الفصل الثانى

من الذكريات المخجلة التى ترسب فى أعماق نفسه .. هذه الذكرى التى ظلت تعذب ضميره وتبعد النوم عن عينيه سنوات طويلة كثيرة ..

لم يكن قد تجاوز الثالثة عشرة من سنى حياته .. حين مضى يلعب مع صديق له فى يوم من أيام السبت فى فرمونت مسقط رأسه .. وكان الصديق فى مثل عمره ، ومكان اللعب هو مخزن التبن الملحق بالدار ، وكان يتميز بالدفء فى ذلك اليوم البارد بل ربما كان هو المكان الجاف الوحيد وسط الثلوج التى كانت تغطى كل شيء .

وكانا قد صنعا عشا وسط أكوام القش الدافىء وجلسا جنبا الى جنب وراحا يتأملان فى صمت جذوع الأشجار التى تعرت عن أوراقها وبدت ضعيفة هزيلة ترتعش من قسوة الريح الباردة .

كان اسم الصبى الآخر « بروس » .. ذلك الاسم الذى ما زال أشبى يكره تذكره حتى الآن ..

وأخرج بروس من جيبه شيئا عرضه عليه وهو يقول فى صوت كان جديرا به ان يشتم منه رائحة الخطر ..

ـ ماقولك فى هذا ؟.

كانت صورة فوتوغرافية متوسطة الحجم ..

وشعر بوجنتيه تلتهبان احمرارا .. وبحلقه يجف .. بل أحس بجسمه كله يرتعد وكأنه فريسة لخطر جامح لايعرف كنهه ، ولم

يجرؤ على مداومته التأمل فى الصورة .. كذلك لم يجسر على النظر فى وجه صديقه .. حتى لايرى تلك الابتسامة المقيتة التى تتلاعب على شفتيه .

وقد كان ذلك هو شعوره تماما .. أو بمعنى اصح كان ذلك هو نفس ما احس به بعد كل تلك الاعوام، حينما نظر فى داخل الغرفة ..

وكانت الستائر المعدنية مرفوعة .. وضوء النهار يملأ كل شئ فى الغرفة فى جلاء ووضوح .

وكانت الجثة ممددة فى منتصف الغرفة بعرض السجادة الخضراء .. وعيناها مفتوحتان .. وفمها مفتوح أيضا وكانها تهم باطلاق صرخة انحبست فى حنجرتها ..

وشعر كانما الدنيا تدور امام عينيه .. لكنه لم يتهاو ولم يسقط .. وشكر لكريستين صنيعها .. حينما سحبته فى رقة للخارج ثم اغلقت الباب .. وكانها قد اسدلت ستارا فوق الجثة ، فى الوقت الذى شعر بمقت شديد نحو ولبورن الذى نمت ابتسامته عن انه فهم سبب ما اعترى آشبى من اضطراب ..

وقال ولبورن :

ـ لقد سمحت لنفسى باستخدام تليفونك للاتصال بقاضى التحقيق واخطاره بالحادث .. وسوف يصل بعد لحظة .

وعاد ثلاثتهم لغرفة الجلوس .. حيث كانت الأنوار الكهربية ما تزال مضاءة .. ولم يجلس سوى ولبورن الذى اختار لنفسه مقعدا مريحا .

ـ ما الذى حدث لها ؟.

ولم يكن فى نيته أن يلقى السؤال بتلك الصيغة .. كان يريد ان يقول :

ـ كيف ماتت ؟. أو ـ كيف قتلت ؟.

لم يلاحظ أى دماء على الجثة .. ولم يستطع ان يجمع اطراف شجاعته ، فقد ايقن ان كلا من زوجته والطبيب يشتبهان فيه ..

والدليل على ذلك سلوك كريستين نفسها ، فهى عندما اكتشفت الجثة لم تتصل به تليفونيا ، كما كان ينبغى أن تفعل باعتباره شريك حياتها ورب البيت ، وكان من واجبها أن تترك له طريقة التصرف فى مثل هذه الظروف .

وكأنما شعرت بما يدور فى رأسه فقالت :

ــ ان الطبيب ولبورن هو مفتش صحة القرية ..

ثم اردفت .. وكأنها تلتمس لديه عذراً .

ــ وهو أول من ينبغى اخطاره فى كل حالة وفاة يشتبه فيها ..

حقا .. انها خير من يعرف ذلك .. فهى تحفظ عن ظهر قلب كل اللوائح والقوانين .. وكل مايتعلق بالاختصاص الوظائفى لكل فرد من رجال الادارة ..

ــ ولقد ماتت بيل خنقا .. ولا شك ابدا فى ذلك . وهذا مادفع الطبيب لابلاغ القاضى فى لينتشفيلد .

ــ القاضى .. قبل الشرطة ؟.

ــ سوف يقوم القاضى باخطار رجال الشرطة المحليين .

فقال وهو يتنهد :

ــ أعتقد انه من واجبى ان اتصل بالناظر حتى يعلم بانى ساتخلف من المدرسة اليوم ..

ــ لقد قلت له ذلك تليفونيا .. وهو لايتوقع حضورك فسلا .

ــ وهل اخبرته ؟.

ــ قلت له ان حادثا قد أصاب بيل .. ولكنى لم اذكر له اية تفصيلات ..

ولم ينقم على زوجته هدوءها ورباطة جاشها .. فانه يعلم انها ليست بليدة الشعور او باردة العاطفة .. وانما هو من قبيل الروتين الذى احبته وجعلها تسير فى حياتها على نظام دقيق معين فلا يفوتها شىء حتى فى أحرج الازمات ..

وكان واثقا تمام الثقة من انها الآن تضرب اخماسا فى أسداس لما سيثار فى البلدة من القصص الخيالية ، وهل من واجبهـا ان تبادر بالاتصال بمعارفها واصدقائها بنفسها .. تليفونيا حتى تنبئهم بالحادث .. قبل أن تصلهم انباء خاطئة مضللة من مصادر أخرى معادية ..

وبدا يستعيد هدوءه .. فخلع قبعته ومعطفه .. وقال فى صوت طبيعى ..
ـ الافضل ان ادخل سيارتنا فى الحظيرة حتى اخلى الممر لما سيفد من سيارات المسئولين .
وفكر فى ارتشاف جرعة من الشراب ترطب حلقه . ولكنه نحى ذلك الخاطر جانبا .

وفى اللحظة التى كاد يبرح فيها الحظيرة لمح سيارة « بل ريان» تصعد التل .. وكانت تجلس بجواره سيدة صغيرة لا يعرفها .. وفهم انهم حينما كانوا يتحدثون عن قاضى التحقيق ، لم يقصدوا غير « بل ريان » ..
واذهلته المفاجأة .. فهو لم يتقابل معه الا مرات قليلة تعد على اصابع اليد الواحدة ، ولم يتآلف معه فقد كان يعتبره مخلوقا تافها ثرثارا .. خفيف الحركة .. كثير الجلبة .

وحينما استدار داخلا لاحظ مرة اخرى ذلك المعطف الاحمر القانى يبدو فى نافذة آل نيشان ..
ـ هالو !.. قل لى .. ما الذى حدث يا سبنسر ؟ لقد تلقيت الاشارة الموجزة وانا فى البيت ـ هل قتل احد ؟.
ـ ستعلم كل شىء . الطبيب هو الذى استدعاك ..

كان يعلم من تجاربه .. انه حينما يجد احد تلاميذه فى مثل هذه الحالة النفسية من الترقب واللهفة .. فالأفضل أن يتركه كما هو حتى يهدأ .
قال القاضى :
ـ هذه هى سكرتيرتى .. الآنسة مولر .. لابأس من أن تخلعى معطفك ياآنسة مولر .. وتعدى كراسة مذكراتك للعمل ..

وكان يتلعثم كلما ناداها بلقبها .. كانما قد اعتاد فى امكنة اخرى أن يدعوها باسمها مجردا ..

واعتذر لكريستين .. لتصرفه دون تكليف كما لو كان فى داره .. ثم قال :

ـ هل تسمحون لنا .. لحظة ؟.

وانتحى بولبورن جانبا ، وكانا يتحدثان بصوت خافت وهما ينقلان البصر بين الزوجة والزوج . ثم دلفا الى غرفة النوم تاركين بابها مفتوحا .. ولكنهما اوصداه بعد لحظة .

لماذا تضايق سبنسر حينما لمح الآنسة مولر .. التى كانت قد خلعت قبعتها ومعطفها وحذاءها المطاطى الطويل .. وراحت تمشط شعرها ؟.

وسالتها كريستين :

ـ هل ترغبين فى احتساء فنجان من القهوة يا آنسة مولر ؟.

ـ بكل سرور .

وعندئذ فقط اكتشف سبنسر انه فى الفترة الوجيزة التى استغرقها فى قطع المسافة للمدوسة ـ ولايتجاوز ذلك دقائق قليلة بحال من الأحوال . فى هذه الفترة الوجيزة كانت كريستين قد اتيح لها ان تتزين وترتدى ثيابها كما اعتادت ان تفعل فى ظروف اخرى اكثر صفاء وهدوءا .. لم يكن وجهها اكثر امتقاعا من اى يوم آخر ، بل كان طبيعيا للغاية .. واذا كان قد خالجها شعور بالقلق او الانفعال .. فلم يكن يبدو الا فى عينيها اللتين كانتا لاتستقران على شيء واحد .

وقال ربان مرة اخرى :

ـ اتسمحان لى باستخدام التليفون ؟ مكالمة او مكالمتين ؟.

واتصل ربان بالشرطة المركزية .. مع احد الضباط الذى بدا انه يعرفه شخصيا .. وبعد ذلك اتصل بالشرطة المحليين وفى هذه المرة كان يعطى اوامره بوصفه السلطة المختصة بالتحقيق .

ونظر الى كريستين وهو يقول معتذرا :

ـ يبدو ان مضايقاتنا لكم اليوم لن يكون لها آخر .. وسوف اطلب منك ان تسمحى لنا باستعمال هذه الشرفة. هل انت فى حاجة الى منضدة صغيرة تكتبين عليها يا آنسة مولر ؟.

ـ سوف استند الى مسند المقعد .. وهو يكفى .

قال ريان :

ـ ارى ان نخلد الى الراحة .. حتى يصل الملازم آفريل من الشرطة المركزية .. كذلك سيصل احد اصدقائى القدامى من شرطة الولاية .. وحتى ذلك الحين .. سوف اوجه اليكما بعض الاسئلة .

وغمز بعينيه للآنسة مولر .. وكأنه يقول لها « استعدى » .

ثم نظر الى آشبى .. وبعد ذلك الى كريستين .. واستقر رأيه اخيرا على ان يسألها هى اولا اذا شاء أن يحصل على اجابات صريحة واضحة .

ـ اولا .. ما اسم الشابة الصغيرة من فضلك . لا اذكر انى قابلتها معك من قبل !.

ـ انها تقيم معنا منذ شهر فقط .

والتفتت للسكرتيرة .. وهى تملى عليها الاسم !

« بيل شيرمان » .

ـ هل تمت بصلة الى عائلة صاحب المصرف فى بوسطون ؟.

ـ لا .. انها من فرجينيا .

ـ هل هى احدى قريباتك ؟.

ـ ليست قريبة لى ولا لزوجى .. كانت والدتها « لودين شيرمان » صديقتى ايام الدراسة .. حين كنا فى الجامعة معا ..

وجلس آشبى بجانب النافذة غارقا فى أفكاره عابس الوجه .

كان لزوجته عدد لايحصى من أولئك الصديقات لاتنقطع عن مراسلتهن فى مختلف انحاء البلاد .. وتتحدث عنهن باستمرار فى كل حين وخاصة على وجبات الطعام .. وتدعوهن امامه باسمائهن المجردة .. وكأنه يعرفهن حق المعرفة .

وطالما سمع عن لورين ولكنها لم تكن الا مجرد اسم كباقى الاسماء . كان يعلم انها تقيم فى مكان ما فى الجنوب .. ويتخيلها فتاة طويلة القامة خشنة مسترجلة تكثر من الضحك والقاء النكات والدعابات .. وترتدى ثيابا قصيرة صارخة اللون ..

وظلت كريستين شهرا كاملا تتلقى منها كل يوم خطابا ..
« أغلب الظن ان مسألتها ان تنتهى الا بالطلاق .. »
« أهى غير سعيدة ؟. »

ثم تمضى فى حديثها : ترى هل يقبل زوجها رفع دعوى طلب الطلاق ؟ وهل سيستعين عليها السفر الى مدينة «رينو» أم يشرعان به فى فرجينيا ؟ فقد كانت العلاقات المالية بينهما مختلفة ومعقدة.. ويشتركان فى بيت كبير ربما اصبحت له قيمة كبرى فى يوم من الايام ..

ثم بدأت مشكلة حضانة ابنة لورين تظهر فى الوجود .. وكان سبنسر يظنها طفلة بين العاشرة والثانية عشرة من عمرها ذات ضفيرتين ترسلهما بشريطين خلف ظهرها ..

ويبدو ان لورين قد كسبت قضية ضم ابنتها لحضانتها اخيرا ..

ـ لقد خرجت المسكينة مثخنة الجراح وقد انهكت المعركة قواها .. واصبحت معدمة لا تملك مليما . وترى نفسها مضطرة للسفر الى اوربا حيث يقيم بعض اقاربها .. لعلها تجد من يمد لها يد المعونة ..

وكان عليه أن يتأهب للانصات وهى تتحدث عن لورين ايضا .. على العشاء . وفى نفس الموعد . قبل تناول الفاكهة ..

ـ يخيل الى انها عاجزة تماما عن توفير مصروفات الدراسة لابنتها علاوة على المأكل والمأوى .. كما انها لا تستطيع اصطحابها معها فى رحلتها الطويلة قبل ان تتأكد من ان وصولها لتلك الاسرة سيقابل بالترحاب . ولذلك فقد عرضت عليها أن ترسل «بيل» للاقامة بيننا بضعة أسابيع ..

وعلى هذه الصورة .. دخل اسم تلك الفتاة حياته ..

وذات يوم رق هواؤه .. بدت صبية كستنائية الشعر لم يلق اليها بالا .

كانت بالنسبة اليه ابنة صديقة كريستين .. الصـــديقة التى لم يرها ابدا .

وكان يراها جالسة تتحدث مع كريستين .. كمـــا تتحـــدث النســـاء .

وحقا .. كانت بيل فى سن عجيبة .. فقبل عامين لم تكن الا طفلة .. وبعد عامين آخرين .. قد تقابلك فى السهرات والحفلات وتحدثك وتحدثها كفتاة ناضجة مكتملة الانوثة ..

انها فى طور المراهقة الخطر .. فى الدور الذى يتقـــابل كبار التلاميذ للخروج مع امثالها فى الهواء الطلق !.

ولم يظهر اى ضيق اوعدم ترحيب بها .. كذلك لم يتجنبهـــا او يتحاشى الاختلاط بها . فقط كان يسرع الى « وكره » بعد العشاء فى وقت مبكر .

وكانت كريستين تجيب عن اســئلة المحقق .. فنهض سبنسر بعد أن اكتشف فجأة أن الطباق قد فرغ من الكيس الجلدى الذى يحمله فى جيبه . وكان فى نيته أن يحضر كمية منه من الوعاء الكبير .. وتنبه بغتة حينما سمع ريان يدعوه فى حدة :

ـ الى أين ياصديقى العجوز ؟.

ترى ماسبب تلك المداعبة المتكلفة ؟.

ـ سأحضر بعض الطباق من غرفتى .

ـ ولكنى اريد ان اوجه اليك سؤالا او اثنين ..

ـ سأعود بعد ثانية واحدة ..

وتبادل كلٌ من ريان والطبيب النظرات فيما بينهما ..

ـ أرجو الا تسىء تأويل كلامى ياسبنسر .. ولكنى أرى من المستحسن ان تبقى هنا .. فالشرطة على وشك الوصـــول حيث يبدءون عملهم بأدواتهم واجهزتهم .. وانت تعرف ذلك . ولابد انك قرأت شـــيئا عنه فى الصحف ، الصور الفوتوغرافية ، ورفـــع

البصمات والاختبارات الفنية ، وما الى ذلك من « الروتين » وحتى ينتهوا من كل هذا .. لا ارى من الحكمة ان تمس شيئا .

وتحول الى كريستين واستطرد يقول :

ـ ذكرت ان والدتها موجودة الآن في باريس .. وانك تعرفين عنوانها حاليا . وسوف نقرر بعد لحظات ارسال برقية لها حتى تحضر الى هنا .. .

ثم قال مخاطبا سبنسر :

ـ قالت زوجتك انك لم تبرح البيت طول ليلة امس ..

ـ هذا حق .

ويبدو ان ريان وجد من الضرورة أن يحمى نفسه .. مثل اى جبان .. خلف ابتسامة مصطنعة يحاول أن يصبغها بالبراءة .

ـ لماذا ؟ .

ـ لانى لم اشعر بالرغبة في الخروج .

ـ ولكنك تلعب البريدج . اليس كذلك ؟ .

ـ احيانا .

ـ وتجيد تلك اللعبة .. اليس كذلك ؟ .

ـ بلى .

ـ واتصلت بك زوجتك تليفونيا من دار آل ميشيل في الليلة الماضية .. واخبرتك بانهم سلعبون شوطا جديدا .

ـ وقد اجبتها بانى مشغول بما كان بين يدى من عمل .. وانى سآوى الى فراشى بعد ذلك مباشرة .

ـ هل كنت فى هذه الحجرة ؟ .

وكان قد نظر الى التليفون .. اعتقادا منه بانه الآلة الوحيدة في البيت .. ويأمل فى نفس الوقت فى ان يعدل سبنسر او يتناقض فى اقواله ..

ـ لقد كنت فى غرفتى .. وهى ايضا المصنع الصغير الذى اقضى فيه وقتى ..

ـ هل صعدت الى هنا .. لترد على التليفون ؟ .

ـ لا ..

ـ هل شاهدت الآنسة شيرمان عندما حضرت ؟.

ـ لم اشاهدها حينما حضرت . ولكنها جاءت الى غرفتى تلقى على تحية المساء ..

ـ وكم مكثت فى غرفتك ؟.

ـ لم تدخل غرفتى .

ـ ماذا تعنى ؟.

ـ وقفت فى مدخل البـاب . واذكر انى دهشت حينمـا رفعت رأسى فاذا بى اراها واقفة هناك لانى لم أسمع وقع اقدامها عند حضورها .

وكان يجيب فى ايجاز وبلهجة جافة فيها خشونة وتحد .. وكانه يريد من ريان أن يتـادب معه . بيـد أنه لم يكن ينظر نحـو ريان .. بل للسكرتيرة التى كانت ماضية فى الـكتابة ..

ـ هل اخبرتك بانها ذاهبة لتنام ؟.

ـ أنا لم أعرف ماذا قالت . كانت تحدثنى دون أن يـكون فى استطاعتى أن أسمع حرفا وطنين المنشار يغطى صوتها .. وحين اوقفت المنشار كانت قد انصرفت .

ـ واعتقدت انت بانها ذهبت الى فراشها ؟.

ـ هذا جائز جداً .

ـ وكم كانت الساعة وقتذاك ؟.

ـ ليست لدى أدنى فكرة عن ذلك .

هل أخطأت ظنونه حينما ساورته الأوهام بأن كريستين ... التى كانت حتى تلك اللحظة تقف بجانبه مشجعة .. قد بدأت تبدى امتعاضها من طريقته فى الاجابة ؟ ربما كان ذلك لنعرة فى طبيعتها المحبة للنظام ، واحترامها لرجال العدالة والقانون. لاشك انه كان يسوءها أن يظهر سبنسر تلك الخشونة ومظاهر العداء لضيفهما .. الذى هو أكبر سلطة فى التحقيق للولاية كلها ! ولكن سبنسر كان لا يحب من يشغل تلك الوظيفة ولم يحترمه من قبل..

ـ هل كنت تحمل ساعتك معك ؟.

ـ كلا ياسيد ريان .. تركتها فى غرفة النوم حينما كنت ابدل « بنطلونى » .

ـ اذن فقد صعدت لتبدل ثيابك ؟.

ـ تماما ..

ـ وما الحكمة فى ذلك ؟.

ـ لانى قد انتهيت من تصحيح أوراق التلاميذ . وكنت ساشرع فى عملى على المنشار .. ولابد ان اتلوث من غبار الخشب .

وادرك الطبيب ولبورن بأن سبنسر يوشك ان يفقد اعصابه، فاسترخى تماما فى مقعده ومضى يحدق فى السقف وهو يشعر برضاء المتفرج على مسرحية بدات تاخذ شكلا سلبيا ممتعا .

ـ وهل كانت تلك الشابة الصغيرة ـ بيل ـ فى غرفتها حينما صعدت ؟.

ـ لم تكن قد حضرت بعد .

ـ معذرة .. ولكن كيف عرفت انها لم تكن فى غرفتها ؟ ارجو الا تغضب يا آشبى . انما نحاول ان نصل للحقيقة ، ولست ارتاب ابدا فى براءتك .. ولكن من واجبى ان اعرف كل ماحدث بالتفصيل فى ليلة امس . لقد كنت فى غرفتك . حسنا . وكنت تصحح كراسات التلاميذ .. جميل جدا .. وحين انتهيت من ذلك صعدت لتبدل ملابسك . والآن .. انا أسالك :

ـ أين كانت بيل فى تلك اللحظة ؟.

وكاد ان يجيب .. ودون تردد :

ـ كانت فى السينما ..

ولكنه شعر بحاجة للتريث ووزن الكلمة . وربما لانه رأى السكرتيرة تسجل كل حرف ينطقه .. ترى متى انطلق لاستبدال ثيابه ؟ هل فعل ذلك قبل عودة بيل او بعدها ؟.

ولكن ذاكرته .. كانت صفحة بيضاء كما يحدث كثيرا لبعض التلاميذ فى الامتحان .

وبدأت كريستين تقول :

ــ طالما انه كان وقتذاك يشتغل أمام منشاره ..

بالطبع ! طالمـا انه كان يشتغل امام منشاره حينما راى بيل ، ولقد كان فعلا يشتغل على منشاره فى تلك اللحظة بكل تأكيد ، وكان يرتدى بنطلونه المصنوع من الفانلة الرمادية .. اذن .. كان قبل ان تصل بيل .. حين صعد لابدال ثيابه .

ــ أرجو الا تجيبى دون ان يوجه أحد اليك سؤالا .. كنت تقول يا سبنسر انها حضرت لتلقى عليك تحية المساء ولم تلبث الا لحظة .. ما طول تلك اللحظة ؟.

ــ اقل من دقيقة .

ــ اكانت ترتدى قبعتها ومعطفها ؟.

ــ كانت ترتدى قبعة رخوة « بيريه » سمراء .

ــ ومعطفها ؟.

ــ لااتذكر معطفها .

ــ لقد اعتقدت انها عائدة من السينما .. ولكن اليس من الجائز ان تكون قد جاءت لتخبرك بأنها خارجة ؟.

ومرة أخرى تدخلت كريستين فقالت :

ــ لم تكن لتخرج مرة أخرى فى تلك الساعة المتأخرة ..

ــ هل تعرفان مع من ذهبت للسينما ؟.

ــ لن يكون عسيرا معرفة ذلك .

ــ أكان لها صديق من الشبان ؟.

ــ جميع الفتيان الذين تعرفوا بها كانوا يحبونها .

ولم تكن كريستين على عكس زوجها تشعر بأى غضب لتلك الأسئلة المتوالية . ومع ذلك فلابد انها كرهت تلك الظلال التى حاول ريان القاءها على فتاة فى رعايتها .

ــ هل من شخص معين كان يخصها بعنايته ؟.

ــ لم الاحظ ابدا شيئا من هذا القبيل .

ــ لم تكن تفضى لك باسرارها فيمـا اظن .. فكما فهمت .. انتما لم تعرفاها الا منذ شهر .. شهر فقط اليس كذلك ؟ .

ــ اجل .. ولكنى اعرف امها جيدا .

واها لك ياكريستين ! وما اطيب قلبك دائما ! وما العلاقة بين الأم وطباع ابنتها ؟.

ووصلت سيارتان .. وقفتا في المشى وكلتاهما تحملان ارقاما حكومية .

وكان يقود الاولى جندى بثيابه الرسمية .. وخرج منها الملازم افريل يرتدى ملابس مدنية، على حين خرج من الخلفية رجل متوسط العمر مجعد الوجه .. ومشى في أدب واحترام الى الضابط ... وعرف آشبى انه رئيس الشرطة المحلية .. وكان يرتدى ملابس مدنية أيضا ـ ولكنه لم يعرف اسمه ..

وتصافح الرجلان ووقفا يتبادلان الحديث برهة وهما ينفضان الثلج عن احذيتهما ، ورفعا ابصارهما الى الدار ، ثم حولاها ناحية بيت آل نيشان .. ولابد ان الضابط افريل قد لمح جزءا من جسم السيدة بنشان وثوبها الاحمر وهو يختفى سريعا من النافذة .

ونهض بل ريان لدى دخولهما واقبل عليهما محييا .. وكذلك فعل الطبيب . وتصافح الجميع وكان لافريل ابن في مدرسة كوستفيو ولكنه لم يكن من تلاميذ آشبى ، وكان الوالد رجلا انيقا اشيب الشعر جميل الوجه .. وعيناه زرقاوان .. فيهما الكثير من الخجل والادب ..

وقال ريان مقترحا :

ـ اذا سمحتما بمرافقتى ...

وتبعهم الطبيب .. ولم يبق سوى السكرتيرة وسبشر وزوجته ..

وسألتها كريستين :

ـ هل لك في قدح آخر من القهوة ؟.

ـ اذا لم يكن في ذلك اى تعب لك .

وانطلقت كريستين الى المطبخ .. وتركت زوجها ..

قالت الآنسة مولر :

ـ ان بيتكما ليطل على مناظر طبيعية رائعة ..

وكأنما شعرت بواجبها في أن تقطع حبل الصمت بأى نوع من الحديث ، واستطردت وهى تبتسم في ود :

ـ واعتقد انكما تتمتعان هنا بكميات اوفر من الجليد وانتما على هذا الارتفاع .. أكثر مما نشاهده عندنا فى ليتشفيلد ..

وظهـــر المعطف الاحمـر مرة أخرى فى النـافذة .. وكانت ثمة سيدتان تقفان فى الممشى وتتأملان سيارات الشرطة من بعيد..

وخرج الرجل القصير ذو التجاعيد من غرفة بيـــل بمفرده . واغلق بابها .. ثم اقبل على التليفون ..

وطلب مكتبه حيث اعطى التعليمات لمعاونيه بان يحضروا ومعهم المعدات والاجهزة اللازمة .

وعادت كريستين تحمل اقداح القهوة ..
سألت سبتمو :
ـ هل اعد لك فنجانا ؟.
ـ لا شكرا .
وقال الرجل القصير :
ـ أخشى أن نسبب لك اليوم بعض المضايقات بامسز آشبى .

وحينما خرج الباقون من غرفة بيل صامتين عابســـين وعلى وجوههم مســحة من القلق والانزعاج ، كما لو كانوا قد عقدوا فيما بينهم اجتماعا سريا .. نهض آشبى من مجلســه .. فى حركة عصبية وقال :

ـ هل ما ازال ممنوعا من الذهاب الى غرفتى ؟.
وتبادلوا النظرات .. فقال ريان موضحا :
ـ كان من رأيى الا اخاطر به ..
ـ لعلك يا سيد آشبى تتفضل فتولينى شرف مشاهدة غرفتك ؟.

وكان المتحدث هو الضابط آفريل .. فى لهجة رقيقة مؤدبة.. وتوقف عند أول الدرجات الثلاث ـ كما فعلت بيل فى الليـلة السابقة ـ وبدا كأنه يلقى من مكانه المرتفع نظرة شاملة على الغرفة كلها .. لا كضابط مباحث .. بل كرجل يهوى قضاء وقت فراغــه هو ايضا فى مثل تلك الهوايات .

ـ هل تسمح فتدير منشارك لحظة ؟.

وكان ذلك ضمن ابحاثه .. وظل يتكلم والمنشار يطن ويزن .. كنت ارى شفتاه تتحركان دون أن تسمع صوتا ، ثم أشار الى آشبى ان يوقف المحرك .

ـ من الواضح انه من المستحيل أن تسمع ما يقوله أى انسان من هذا المكان بين أزيز المنشار وطنينه ..

ولبث برهة يتحدث حديثا وديا .. وتفرج على المنشار وابدى اعجابه بطريقة عمله : كذلك قرأ عناوين الكتب التى يجمعها آشبى واظهر ارتياحه اليها .. وجلس فى المقعد الجلدى القديم ذى المسندين واشاد بما لقيه من راحة ومتعة خلال الدقائق التى قضاها ثم نهض وهو يقول :

ـ لابد من ان اصعد الآن .. فأمامنا عمل شاق .. انت لاتعرف شيئا . اليس كذلك ؟.

ـ لقد رايتها آخر مرة حين كانت فى مدخل الباب حيث تقف انت الآن .. وحسبت من حركات شفتيها فقط انها كانت تقول لى « طابت ليلتك » ولكنى لم أسمع حرفا مما قالته ..

ـ ألم تسمع أو تلاحظ شيئا قبل او بعد ذلك ؟.

ـ لا شىء .

ـ اظنك قد اغلقت الباب الخارجى ؟.

وتريث سبنسر برهة يفكر ..

ـ اظن ذلك .. اجل .. انا متأكد من انى فعلت . اذكر ان زوجتى كانت قد انبأتنى تليفونيا بأن المفتاح معها .

وفوجىء بتجهم يبدو على ملامح آفريل السمحة .. فاسرع يقول :

ـ اتعنى أن شخصا ما لابد قد اقتحم الباب الخارجى ؟.

وما كان له ان يتعجل فيلقى ذلك السؤال .. فليس من شأنه ان يصل الى تلك النتيجة .. التى لا تأتى الا رويدا .. وبعد مقدمات كثيرة وفحص عميق لكل ظروف الحادث .. هذا ما فهمه من ملامح الضابط الذى اوما برأسه باشارة خفيفة غامضة قد تدل على الايجاب .. ثم استأذن فى الانصراف .

وظل آشبى ـ بلا سبب يدعوه لذلك ـ جالسا فى عربته فترة امتدت الى خمس دقائق . الأمر الذى اسف له فيما بعد ..

لم يطرده احد من غرفة الجلوس .. بل لقد رضى من تلقائه أن يحبس نفسه فى غرفته ويغلق الباب عليه .. بعيدا عن مجريات الامور ، لا يسمع الا صوت أقدام تروح وتجيء ، وسيارتين فقط تقفان فى الممشى .. على حين انطلقت سيارة واحدة منصرفة ..

لماذا سلك سلوك الطفل العنيد الغاضب ؟.

انه لواثق .. من انه حينما ينفرد فيما بعد بكريستين .. (والله وحده يعلم متى يقدر له الانفراد بها ؟) سوف توجه اليه لوما خفيفا وعتابا رقيقا على حساسيته المفرطة .. فكل أولئك الناس ـ وخاصة ريان ـ انما يقومون بتأدية واجباتهم ولا يريدون به شرا ..

ولكن .. هل ستجد الجراة فتعترف له صراحة .. بأنها هى الاخرى قد ارتابت فيه حينما اكتشفت مقتل « بيل » ممادعاها للاتصال مباشرة بالطبيب ولبورن ؟.

ومرة اخرى .. فقد حسابه للزمن .. لم يدر بخلده أن ينظر فى ساعته التى يحتفظ بها فى جيبه ..

وكانت زجاجة الشراب .. الزجاجة التى اعتاد أن يتناول منها جرعتين كل مساء .. كانت فى الخزانة .. وشعر بشوق شديد اليها .. ولكن لم يكن معه كأس .. وهو يكره أن يشربها من فم الزجاجة .. كذلك لم تتجاوز الساعة ـ على أكثر تقدير ـ الحادية عشرة .. وهو موعد مبكر ـ فى ظنه ـ عما اعتاد أن يشرب فيه .

وفوق كل ذلك .. لم الحاجة للشراب ؟.

كان يمر بلحظة يأس مؤلمة .. لحظة احس فيها بنفس الشعور الذى ساوره حين راى ابتسامة (بروس) صديقه الطفل الشرير .. تلك الابتسامة الخبيثة النكراء .. والتى عذبت ضميره سنوات طويلة ..

وها هم اولاء الآن يعاودون وضعه على آلة التعذيب .

بيل ؟ انه لم يفكر فيها ابدا .. كامرأة .

واذا كان قد نظر الى ساقيها ذات مرة .. فبنفس النظرة التى يلقيها الى ساقى السكرتيرة الدميمة .. الآنسة مولر ..

ولم يعجبه فى السكرتيرة اهتمامها ان تبدو ظريفة .. كذلك لم تعجبه حركاتها. بل انه يشعر بالاحتقار نحو هذا النوع من النساء..

وخيل اليهم انهم يسحبون شيئا ثقيلا من الاثاث فوق الارض. ربما كانوا يفعلون ذلك بحثـــا عن أدلة مادية او آثار .. ترى هل سيعثرون على شيء .. وأى نوع من الادلة والبراهين يريدون ؟.

منذ برهة .. وجه اليه الضابط سؤالا ..

ويل له ! كيف غاب عنه ذلك ؟ انهم يبحثون فيما اذا كان قــد أغلق الباب حقيقة ام لا .. الباب الأمامى الذى يغلق عليهم جميعا بطبيعة الحال . ومما يؤكد انه كان مغلقا ، أن كريستين التى عادت فى ساعة متأخرة من الليل لم تلاحظ شيئا غير عادى ، ولو كان الباب مفتوحا او مكسورا لما فاتها ذلك ، ولما طرق النوم عينيها قبــل أن توقظه وتسأله ايضاحا . مما يعنى ان الباب الأمامى كان موصــدا فعلا . والواقع انه يكاد يكون واثقا من انه أوصده بنفسه .

والامر اذن غاية فى الغرابة .

كاد يصعق حينما تبلجت له الحقيقة .. وأدرك انه مادام هو ليس الذى قتل بيل .. فلابد ان أحدا قد دخل الدار خلسة !. ذلك هو الأمر الحيوى الخطير الذى لم ينتبه اليه من قبل .

الحقيقة البسيطة المفزعة والواضحة .. هى ان حادث القتــل قد وقع تحت سقف بيته وعلى قيد خطوات قليلة منه ـ فكيف لم يشعر بالقاتل حين دخل البيت وحين ارتكب جريمته .

وشعر بالبرودة تسرى فى جميع اطرافه .. خيل اليه ان الاتهام يمسه عن قرب .. وان ثمة خطورة حقيقية تهدده بوســـيلة ما لا يدرك مصدرها ..

ولقد كان يود لو استطاع ان يؤكد لنفسه ان مرتكب الحــادث غريب عن المنطقة .. ملتاث او مجنون .. ولكن كيف يستطيع أن يقنع نفسه بذلك والاغراب الذين يجولون فى البــلاد والقرى على

غير هدى .. ينقطعون تماما فى شهر ديسمبر حيث تغطى الثلوج الطرق ويتعذر السير فيها .. ويستحيل على اى آدمى المبيت فى العراء وفى زمهرير الشتاء ! ثم كيف يتسنى لاى متشرد ان يعرف أن فتاة صغيرة تقطن فى هذا البيت بالذات .. وفى تلك الغرفة بعينها ؟ بل كيف يتسنى له الدخول والخروج بلا دنى صوت او حركة ؟ .

وشعر برعدة قوية .. لابد أنهم كانوا يقدرون كل تلك الاحتمالات وهم يتشاورون فى تلك الغرفة ..

حتى اذا كان هناك من تبع بيل واقتفى أثرها من السينما حتى البيت .. فقد كان من اللازم ان تفتح له الباب بنفسها وهذا بعيد عن المنطق تماما .. اذ كان فى وسعه ان يهاجمها فى طريقها للدار دون ان ينتظر حتى تأوى الى غرفتها بين جدران بيت تسطع فيه الانوار .. فيعرض نفسه للفضيحة والقبض عليه من أهله وسكانه؟.

ولكن كيف عرف ذلك الغريب ان لبيل غرفة مستقلة ؟.

واحس بالضعف .. بل فقد بغتة كل ثقته بنفسه .. وخيل اليه ان الدنيا كلها تدور امام عينيه .. وان العالم كله يتهاوى ويسقط حجرا حجرا فوق رأسه ..

فذلك الذى ارتكب الحادث .. مهما يكن امره .. لابد انه كان يعرف بيل . ويعرف البيت ..

فهو اذن ينتمى الى مجتمعهم . رجل تعرفه هى . رجل تردد على البيت .. وما من ريب فى ذلك .

واضطر ان يجلس .. فلم تعد ساقاه تقويان على حمله ..

ذلك يعنى بالضرورة .. أن القاتل صديق .. شخص قريب جدا منها ...

وشعر كم كان تافه التفكير .. حين غضب من اسئلة ريان .. وحين اجابه فى تحد ودون أن يخطر بباله ان قاضى التحقيق كان يوجهها وفى ذهنه فكرة قائمة .. تهدف الى غرض ما معين ..

اقلو ان شخصا معينا قد ارتكب هذه الجريمة البشعة ..
ولكن ما جدوى الهـــرب من الواقع ؟ لمـــاذا لا يكون هو ذلك الشخص بالذات ؟.

هذا هو محور تفكيرهم جميعا وسبب تلك النظرات النكراء .. والابتسامات الصفراء التى لم يستطع احتمالها ..

وربما .. بل من المؤكد ان ذلك ما ساور كريستين ايضـــا .. شأنها شان الآخرين ..

ولعله قد توهم اشياء لا وجود لها .. وهم لا يرتابون فيه .. او لديهم ما يبعثهم على ابعاد الشبهة عنه .. فهو لا يعرف وجهات نظرهم ، ولم يوجه اليه احد اتهاما بعد .. او ربما يكونون قد عثروا على ضوء ينير لهم الطريق الى الحق والصدق ؟.

ترى .. هل اخطأ فى فهم تلك النظرات الحانيـــة .. التى كانت تنبعث من عينى الضابط افريل حينما كان معه فى عربته ؟ والتى اكدت له انه يعطف عليه ويشاركه فى شعوره ؟ لقد خيل اليه ان امارات التصديق كانت بادية فى وضوح على وجهه. .ولكنه لم يصارحه برايه او بما انتهت اليه ابحاثه . وربما كان على حق بحكم منصبه فى مثل تلك الظروف ..

وهاتف آخر .. لو كانوا يشكون فيه حقا .. هل كانوا يتركون معه الآنسة مولر فى غرفة واحدة وليس معهما احد .. هذا غير محتمل .. كذلك .. لم يكن فى منظرهم وهم يخرجون من الغرفة ما يوحى بأنهم يرتابون فى امره .. وان كانت ملامح الجد والقلق قد بدت واضحة عليهم .. ربما كانوا يقدرون كل الاحتمالات ..

واستيقظ من افكاره وهو يقرض اظافره .. على صوت يناديه:
ـ تستطيع أن تصعد يا سبنسر ..

وكأنهم هم الذين حجزوه .. ولم يحبس نفسه باختياره ..
ـ ماذا هناك ؟.

ـ السيد ريان يرغب فى الانصراف .. ويحب ان يوجه اليـك سؤالا او سؤالين .

ـ ولاحظ على الفور ان الطبيب ولبورن غير موجود ، ولم يعرف الا مؤخرا ان الجثة قـد نقلت الى حانوت متعهد نقل الموتى وان الطبيب كان تلك اللحظة منهمكا فى تشريحها ..

كذلك لم يشاهد اللازم آفريل ..

اما الرجل القصير رئيس الشرطة المحلية .. فقدجلس فى احد الأركان بعيدا يحتسى قدحا من القهوة .

قال ريان :

ـ اجلس يا مستر آشبى !

اما كريستين .. فكانت تقف بباب المطبخ .. غير واثقة مما اذا كان يجب عليها أن تبقى أم تنصرف ..

وتساءل صاحبنا .. لماذا يخاطبه ريان بتلك اللهجة الرسمية ويدعوه بلقبه .. بعد أن كان يناديه باسمه المجرد ؟.

الفصل الثالث

كانا يقفان امام النافذة ، لايفصلهما سوى مقعد واحد ومنضدة صغيرة وقد اخـذا يتأملان السـيارة وهى تنصرف حاملة ريان وسكرتيرته .

واذ انفرد آشبى بزوجته .. وضمتهما جدران بيتهما وحدهما أخيرا .. شعرا بشىء كبير من الحرج وهما يتبادلان النظرات .

كان راضيا عن زوجته .. وفوق ذلك كان فخورا بها . ويشعر بأنها غير مرتاحة فى نفس الوقت لسلوكه مع هيئة التحقيق . ذلك السلوك الجاف الخشن الذى لم يكن له ما يبرره .

ـ ما رايك فى قليل من الطعام ؟ لا حاجة للاعتذار لأنى لم أشتر شيئا من السوق ..

وكانت تتحدث عن الطعام فى يسر وبسـاطة .. وكانت على صواب .. فـذلك يساعد على تصفيـة الجو حتى تمضى الأمور

كالمألوف . واخذت تفرغ منفضة السجائر حيث ترك عقب سيجاره الكبير ..

وكان ريان يدخن طول الوقت ويتحدث وسيجاره الضخم بين شفتيه .. وبين حين وآخر كان يمسكه بين اصابعه فى اعجاب وحب .. كأنما هو الذى يمده بكل تلك الاسئلة المحرجة اللعينة ويساعده على التفكير ..

سألته زوجته :

ـ هل افتح علبة من اللحم المحفوظ ؟.

ـ افضل شخصيا علبة من السردين .. او اى طعام بارد .

ـ مع شيء من السلاطة ؟.

ـ لو سمحت ..

واذ انتهت الصدمة .. فقد شعر بالتعب والارهاق ، وربماكان مخطئا ولكنه يعتقد انه مر بمرحلة كبيرة من ذلكالعذاب الشديد.. ومازال امامه شوط طويل عليه أن يقطعه ، وسوف يعودون بكل تأكيد . الواحد تلو الآخر .. وسوف تظهر امور عليه أن يوضحها .

وتنهد بارتياح لأنه اجتاز بنجاح كل تلك الاختبارات الدقيقة.. فى مواجهة ريان ..

لقد اقلقه .. منذ وقت مضى وحينما استدعوه من غرفته .. أن يرى كريستين تغادر الغرفة بمجرد أن شاهدته وتساءل لماذا تنصرف فى اللحظة التى يحضر هو فيها ؟ ثم فهم حينما شاهد وجه ريان .. انها انما تفعل ذلك بناء على تعليمات صدرت اليها .

ولقد جعلته تلك الملاحظة .. ينتبه الى نفسه ويفكر قبل أن يتحدث .. وخاصة أن عبارة «مستر آشبى» المغلفةباللهجة الرسمية بعثت فى نفسه شعورا بأن ما سيجرى بينه وبين ريان ليس من نوع الحديث المتبادل المرسل ،بل هو مناقشة حادة قد تتوقف عليها حياته ومصيره .

وكان ريان يلعب معه لعبة القط والفار ، مستعملا معه كل حيل قاضى التحقيق فى الاستجواب فهو يخرج المنديل من جيبه وينظر اليه وينشره ثم يطبقه قبل ان يدفن فيه انفه ، او يدير سيجاره بين

اصبعيه ويتأمله كانما يقيس ما تبقى منه ، او يستدعى منه حقيقة غابت عنه .

كذلك ضاعف من توتر اعصابه .. منظر رجل الشرطة القصير وهو يحدجه بنظراته التى تمتلىء ريبا وتقطر شكا واتهاما ..

قال له ريان اخيرا :

ـ لن اطلب من سكرتيرتى أن تقرا لك اقوالك التى ذكرتها فى بداية التحقيق ومنذ وقت قصير ـ فأنا أظنك تذكر ما قلت ولا ترغب فى تعديلها أو مناقضتها . ففى الليلة الماضية نزلت الى غرفتك لتصحح اوراق تلاميذك وكنت ترتدى (البدلة) البنية التى ترتديها الآن .

ولم يكن قد سبق أن جاء على لسان احد .. موضوع البدلة البنية .. امام آشبى .. واذن .. فلابد أن زوجته هى التى اضافت تلك المعلومات .

ـ وما ان انتهيت من عملك ، حتى صعدت مرة أخرى ، وذهبت الى غرفة نومك وابدلت ملابسك .. وارتديت هذا البنطلون .. اليس هذا هو البنطلون الذى ارتديته فعلا ؟ .

ونظر ريان من فوق راس سيتسر .. مخاطبا رجل الشرطة القصير ..

ـ لو سمحت يا سيد هولوى ..

وتقدم رجل الشرطة .. وكأنه احد كتبة محكمة الجنايات .. وبين يديه بنطلون .. وقميص ..

ـ هل تعرف هذا ؟ .

ـ نعم .

ـ اذن فهذا ما كنت ترتديه حينما هبطت مرة ثانية الى غرفتك وحين عادت الآنسة شيرمان للبيت ؟ .

ـ هذا ما كنت ارتديه حينما رايتها تقف على باب غرفتى ..

ـ شكرا .. هذا يكفى يا سيد هولوى .

ولابد انه كان ثمة اتفاق بينهما .. اذ أن السيد هولوى لم يعد الى مقعده ، بل ارتدى معطفه ثم قفازه الصوفى السميك .. وحمل

تحت ابطه حزمة الثياب التى عرضها منذ قليل .. وانطـــلق الى الباب ..

ـ ينبغى الا تؤاخذنا يا مستر آشبى .. هذه مجـرد اجراءات شكلية .. والآن . سأطلب منك أن تتريث وتفكر بعمق .. وان تبحث فى ذاكرتك وتتدبر مليا وفى تأن شديد .. ثم تجيبنى فى النهاية بصدق .. ودون أن يغيب عن بالك انه ربما طلبوا منك أن تعيد ما ستقوله مرة اخرى بعد حلف اليمين ..

ويبدو ان ريان كان معجبا ببلاغته وانشائه ..

ـ هل انت واثق من انك ـ فى الليلة الماضية ـ لم تضع قدمك فى اية لحظة فى اى غرفة خلاف ما ذكرت لنا .. وعلى وجه الحصر غرفتك التى تشتغل فيها ، غرفة نومك ، حمـــامك ، مطبخـــك بطبيعة الحال غرفة الجلوس التى تضطر للمرور فيها ؟.

ـ انا واثق من ذلك كل الثقة ..

وعلى الرغم من وثوقه فانه شـــعر ببعض الشك يتسرب الى نفسه.

ـ اترغب فى أن اعطيك فرصة اخرى للتفكير ؟ .

ـ لا ضرورة لذلك .

ـ اذن . فى هذه الحالة .. أطلب منك ايضاحا يا مستر آشبى عن دليل قوى عثرنا عليه يؤكد انك لم تدخل فقط الى غرفة نوم الآنسة شيرمان .. بل دخلت حمامها كذلك ولا حاجة بى لان اذكرك وهذا منزلك الذى تعرف دقائقه ـ بانه لا يمكن الوصـــــول الى الحمام دون اختراق غرفة النوم ... ولـسوف أعلم نفسى الصبر حتى تجيب !.

وفى تلك اللحظة .. شعر بحاجة شديدة ماسة لمن يساعده .. وكم كان يحب لو نظر فى وجه كريستين المتورد المشجع يلتمس منها العون والتأييد . وادرك لماذا حرص ريان على أن يبعـــدها خارج الغرفة ..

لقد كانوا يشتبهون فيه قطعا . بل لقد وصلوا الى مرحلة كبيرة فى الاتهام . . اثناء وجوده فى غرفته !.

وغمغم يقول وهو يمسح العرق الذى تصبب فوق جبينه :

ــ لم ادخل غرفتها بتاتا . .

ــ ولا حمامها ؟.

ــ ولا حمامها بداهة . .

ــ ارجو ان تغفر لى الحاحى . . واصرارى على طلب الحقيقة . فلدينا ما يؤكد العكس .

ــ انا آسف . . ولكنى لا استطيع الا ان اكرر انى لم ادخل غرفتها ابدا . .

وكان صوته قد بدا يرتفع . . واحس بانه سوف يرتفع حتى يصل لدرجة الصراخ اذا أصر ريان على التحرش به .

ولكن ريان بدأ يتلطف فى حديثه . . قال :

ــ لا اجد حاجه لان الف وادور مع شخص على جانب كبير من الثقافة مثلك يا آنسبى . . لقد كان الاخصائيون هنا يبحثون فى مكان الحادث . . ولقد عثروا فى احد الاركان . . وبين فراغ صغير فى البلاط على آثار غبار تبين أنه نفس غبار الخشب الذى يوجد بين ثنايا ثيابك نتيجة نشر الخشب بالمنشار . . ولسوف يؤكد التحليل انه يطابق الغبار فى غرفة عملك . .

وصمت ريان . وهو يتأمل سيجاره فى شغف شديد . .

وبدا سبنسر يجتاز اشق خمس دقائق فى حياته . .

لم يكن يشعر بأى خوف أو فزع . . فهو واثق من انه برىء . وواثق من انه سوف يجد الدليل على ذلك مستقبلا ، ولكنه . . فى تلك اللحظة . . كان عليه ان يجيب قاضى التحقيق ، وكان من المهم جدا ان يقنعه بتفسير كاف لذلك اللغز المحير . .

وكان لغزا محيرا حقا !.

فهو ليس ممن يسيرون فى نومهم . . وكان واثقـا من انه لم يضع قدمه فى غرفة بيل فى اية لحظة من الليلة السابقة . .

قال القاضى :

ــ وربما زعمت انها حين جاءت لتلقى عليك تحية المساء ..
طار بعض الغبار من منشارك تعلق بثيابها .. لقد قام الملازم آفريل
بتجربة ذلك حينما رافقك الى غرفتك .. ووقف حيث قلت
ان الآنسة شيرمان كانت تقف وطلب منك أن تدير المنشار ..
وعندما عاد .. لم يكن اى اثر للغبار لاصقا بثيابه ..

اذن .. فالضابط آفريل .. معهم أيضا .. وهو الذى كان يظنه فى صفه وبجانبه ! وما كانت تلك الرقة والمودة التى ابداها الا شركا .. اتفق مع ريان على أن ينصباه له .

ــ امازلت لا تستطيع ان تتذكر ؟

ــ لا .

ــ سأترك لك فرصة كافية للتفكير ..

وكان آشبى يجلس على المقعد ذى المسندين بجوار النافذة .. وتصادف انه وهو يفتش بين ثنايا ذاكرته ، قد رفع عينيه .. واذا به يلمح المعطف الأحمر القانى يبدو فى النافذة البعيدة ، وفى هذه المرة لم يظهر ليختفى سريعا ، بل شاهد وجها ينحنى للأمام قليلا .. وعينين سوداوين تحدجانه فى جراة ..

وعجب لذلك .. لانه لم يكن امرا طبيعيا . فقد كان هو وزوجته يتجاهلان اسرة نيشان دائما . ومع ذلك فقد كان فى وسعه ان يقسم غير حانث بأنها كانت تحاول ان توحى اليه شيئا ما .. ربما كانت رسالة خفية .. او اشارة مبهمة تريد أن يفهم الغرض منها لمصلحته ..

وكان ريان قد اخرج ساعة من جيبه وامسكها فى راحة يده وكأنه يقيس الزمن فى مباراة رياضية هامة .. قال :

ــ ولقد غاب عنى ان اذكرك يا مستر آشبى .. انه سواء كنت متهما او شاهدا او محجوزا تحت التحقيق .. فمن حقك أن تمتنع من الاجابة الا فى حضور محاميك .

ــ ومن اكون الآن ؟

ــ شاهد .

وابتسم في ضيق .. واختلس نظرة اخرى تجـاه دار آل ليشان ..
وكانما خجل من ان يلتمس المعونة الخارجية .. تحرك من مكانه الى مقعد آخر بعيد عن النافذة .
ـ حسنا .. هل عثرت على الجواب ؟.
ـ لا .

ـ الا تعترف بأنك دخلت غرفة نوم الفتاة ؟.
ـ لم يحدث ذلك اطلاقا ..
ـ اتريد ان تقدم ايضاحا ؟.
ووثب من مكانه فجأة .. وهو يضحك .. ضحكة انتصـار صادرة من أعماق قلبه ..
لقد عثر على التفسير .. في اللحظة التي اشتد فيها يأسه واعترف فيها بالفشل .. وكان الأمر في غاية البساطة حقا .

ـ لم يكن ذلك ليلة امس حينما دخلت حمام « بيل » .. ولكن الليلة التي سبقتها ، وكنت حقيقة ارتدي البنطلون الفانلا لاني كنت اشتغل في غرفتي عندما حضرت الى زوجتي واخبرتني بان شماعة المناشف قد سقطت من مكانها على الجدار مرة اخرى .

وشعر بالعرق الغزير يغمر جسمه كله .. وهو يستطرد :
ـ لقد سبق ان سقطت ثلاث أو اربع مرات قبل ذلك .
ـ وما دليلك على ذلك ؟ .
ـ تستطيع زوجتي ان تؤكد هذا ..

ونظر ريان الى باب المطبخ بطريقة معينـة .. وفهم آشبي ما يقصده .. ولكنه التزم الهدوء .
كانت معنى تلك النظرة انه من المحتمل جدا ان تكون كريستين واقفة خلف الباب تنصت للحديث ، ولن يوافقها قلبها الطيب على تكذيبه .. وفي الوقت نفسه ربما اعترض قاضي التحقيق قانونا على ان ياخذ شهادة الزوجة لصالح زوجها ..
وصاح آشبي وهو يرفع سبابته ، وكأنه تلميذ صغير استبدت به الحماسة ليجيب عن سؤال حير جميع رفاقه في الفصـل ..

ـ انتظر لحظة ... ما اسم هذا اليوم ؟ الاربعاء ؟
وبدا يذرع الغرفة ذهابا وايابا ..
ـ اذا لم أكن مخطئا ، فالاربعاء هو موعد السيدة ستورجس عند آل كلارك ..
ـ عم تتحدث ؟.
ـ انني أتحدث عن المراة التى تقوم بتنظيف بيتنا . فهى لاتأتى الينا الا مرتين كل اسبوع . الاثنين والجمعة . وقد قمت بدق الشماعة فى الحائط أمس الأول .. أى يوم الاثنين .. ولابد انها لاحظت انها مخلوعة بالنيار ..

وامسك بسماعة التليفون ومضى يدير القرص يطلب رقم السيدة كلارك ..

ـ معذرة لازعاجك يا مسز كلارك . هل السيدة ستورجس موجودة ؟ هل تتكرمين بان تستدعيها للتليفون .. لحظة فقط ؟.

وناول المسماع لريان الذى لم يجد بدا من ان يأخذه ويتحدث مع الخادمة .

وبعد أن وضعها .. لم يذكر حمام بيل بعد ذلك ابدا ..

القى بعض اسئلة أخرى .. مجرد شكليات كما لو كان يريد تصفية موقف كان بالغ الحرج .

فمثلا ، كيف لم يلاحظ آشبى ـ قبل أن يأوى الى فراشه ـ ما اذا كانت غرفة بيل مضاءة أم مظلمة وخاصة قد اطفأ نور غرفة الجلوس والردهة الخارجية .. قبل ان يطفىء غرفة نومه شخصيا . فكان جديرا به اذن أن يلاحظ أى خيط من نور ينبعث من تحت عقب بابها .. وايضا ان كان قد سمع أى صوت مهما كان ضئيلا خافتا فى البيت ؟ وعلى فكرة ما عدد الكئوس التى كان قد تناولها ؟.
ـ كأسان .

ويبدو انه كان هناك لغزا جديدا وراء موضوع الشراب ..
ـ أواثق انت من انك لم تتناول سوى كاسين ؟ وهل كان ذلك

قدرا كافيا لان يفقدك وعيك فلم تشعر بعودة زوجتك من الخارج وحينما رقدت بجانبك على الفراش ؟.

ـ ما كنت لأشعر بها .. حتى ولو لم اتناول قطرة واحدة من الشراب .

وكانت تلك حقيقة معروفة .. فهو اذ يستغرق فى النوم .. لا يستيقظ الا فى الصباح ..

ـ وما نوع الشراب الذى احتسيته ؟.

واخبره آشبى . وطلب منه ريان ان يحضر الزجاجة من غرفته .

ـ وهل تشترى دائما ذلك النوع الصغير المفرطح ؟.

ـ غالبا .

عادة قديمة جرى عليها . منذ ان كان محدود الدخل لا يستطيع ان يشترى سوى الزجاجات الصغيرة ..

ـ وهل تشرب الآنسة شيرمان هذا النوع من الشراب ؟.

وكلما سمعهم يذكرون ذلك الاسم .. ثارت اعصابه لأنها بالنسبة اليه لم تكون سوى (بيل) .. وفى كل مرة يتساءل من تكون هذه الآنسة شيرمان ..

ـ لم تشرب امامى ابدا .

ـ الم يحدث ان شاركتها فى الشراب ؟.

ـ نعم . لم يحدث بكل تأكيد .

ـ لا فى غرفتك . . ولا فى غرفة نومها ؟.

ومد ريان يده الى حافظته الجلدية التى كانت على السجادة بجوار المقعد حيث كان يجلس، ثم اخرج منها زجاجة صغيرة مفرطحة من نفس النوع الذى يستعمله آشبى ..

ـ يبدو أن الشراب قد أضعف ذاكرتك .. وانا واثق من انك استعملت هذه الزجاجة ليلة امس لتسهل لك اغراضك وكنت من الحرص والحذر بحيث ازلت كل بصمات أصابعك عنها .. أليس كذلك ؟.

ـ لا افهم ما تقول .

ـ لقد وجدنا هذه القنينة فى غرفة نوم الآنسة شيرمان . . وفى مكان ليس بعيدا عن جثتها . ومختفية خلف مقعدذى مساندين وكما

تراها فهى فارغة ، ولم تهرقَ محتوياتها على الارض بلْ شربتة ،
كذلك لم نجد أى كئوس فى الغرفة .. ولم تستعمل الكاس الموجودة
فى الحمام لهذا الغرض .
ـ هل هى بيل التى ... ؟

من المستحيل ان يصدق ذلك . وكان واثقا من ان الجواب
سيكون نفيا ..
ـ ولابد ـ ان تكون بالضرورة ـ قد شربت الشراب صافيا من
فم الزجاجة .. وسنعرف بعد قليل القدر الذى تحتويه امعاؤها ..
ويبدو من رائحة فمها انها قد تناولت منه قدراً كبيرا .. الم تلاحظ
عليها شيئا حينما جاءت تلقى عليك تحية المساء ؟.
ـ نعم . لم الاحظ ..
ـ هل شممت رائحة انفاسها ؟.

يا للشياطين ! . اما من نهاية لتلك السخافات ؟ . ان فى
اسلوب ربان ما يقطع بالشك والاتهام مع انه لم يرتكب اثما ..
ـ لا ..
ـ ونظرات عينيها .. الاحظت انها كانت غريبة نوعا ما وهى
تنظر اليك ؟ .
ـ لا ..
اجابات مقتضبة على طريقة « ما قلّ دلّ » ذلك ما يستحقه
الخنزير ربان ! .

ـ افهمت من حديثها انها كانت ثملة مثلا ؟.
ـ لا ..
ـ هل سمعت ما كانت تقول لك ؟ .
ـ لا ..
ـ آه .. تذكرت انى سمعت منك ذلك قبلا .. اذن . لم يكن
فى استطاعتك وانت فى غمرة استغراقك فى عملك ان تتبين ان
كانت فى حالة طبيعية عادية ام لا ؟ .

ـ هذا جائز .. ومع ذلك يخالجنى احساس قوى بانها حين
حضرت كانت طبيعية جدا .

لماذا قال ذلك ؟. انه فى الواقع لم يكن متأكدا من ذلك تمـاما ولم يـسبق له ان انتبه لملاحظة ذلك .. انما هو شعور الولاء والحب نحو كريستين .. ولاء امتد الى اصدقائها .. ومن اجل ذلك فهو يدافع عن سـمعة بيل .. ألم يلحظ كيف كانت ممتقعـة الوجه قليلا .. كما لو كانت حزينة او مريضة ؟.

ـ لا اجد امامى اسـئلة اخرى استطيع ان اوجهها اليك فى هذه اللحظة ، وسوف اكون اتعس انـــــان على وجه الارض لو شعرت يا عزيزى سينسر بأى غضب او كراهية ضدى فانت ترى انه لم تحدث ـ منذ ثلاثة وعشرين عامابالضبطـ أى حادثة مماثلة فى هذه المنطقة كلها . الامر الذى سوف يثير ضجة كبرى ومتاعب كثيرة لنا . وفى ظنى انك ستفاجأ بعد قليل بسيل لا ينقطع من رجال الصحافة ـ وان شئت نصيحتى ـ فقابلهم بأكثر ما يمكنك من بشاشة وترحيب ، فانا اعرفهم ، وهم ليسوا وحوشا أو مصاصى دماء . بل هم قوم طيبون يفهمون مثل هذه المواقف ويحســنون تقديرها .. أما اذا ادركوا انك تخفى عنهم معلومات ...

وحين دق جرس التليفون امتدت يد ريان للسماعة قبل ان يصل آشبى اليها .. ولعله كان يتوقع المكالمة لأنه كان يضع جهاز التليفون بالقرب من مقعده .

ـ هالو .. اجل .. انا الذى اتكلم .. اجل .

وكانت الآنسة مولر تبتسم لآشبى وكأنها تريد أن تقول له انها هى شخصيا لا تكرهه أو تعاديه .. وليس لها اى ذنب فيما يفعـله ريان .. او لعلها كانت تهنئه لأنه افلح فى اجتياز الامتحان بجدارة.

ـ اجل .. اجل .. فهمت .. ذلك سوف يساعدك فى التأكد من صحة ما لديك .. كلا .. لم تتبلور القضية بعد فى المجرى الذى كنا نتوقعه .. هذا غريب جدا .. اجل .. لقد تأكدت . آه .. الا اذا كان ثمة احتمال بوجود تدبير سابق دقيق .. قد يخدعنا لأول وهلة ..

كان يحاول ان يصوغ كلماته بحيث لا يستطيع آشبى فهمها .

ـ سوف نتناقش فى ذلك مستقبلا .. ينبغى ان اعود الى ليتشفيلد فهم هناك فى انتظارى .. اجل .. كلا .. بل انت الذى سنتوقع حضورك .. اجل .. اجل .. (وارتسمت على شفتيه ابتسامة صغيرة) سنضطر الى ذلك . وسوف اتحدث معه فى هذا الصدد .

ووضع السماع .. ثم اشعل سيجارا جديدا .

ـ لم يبق الا اجراء شكلى واحد ارجو ان توافق على اتمامه بعد فترة من الوقت .. لا تغضب ! . سوف يحضر ولبورن هنا حالما ينتهى من عمله .. ولن يعطلك اكثر من دقيقتين فى فحص جسمك .

ووقف ريان .. وكذلك الآنسة مولر التى تحركت نحو الحقيبة الجلدية .

واستطرد القاضى قائلا :

ـ لا ارى ما يمنعنى من أن أفسر لك سبب ذلك الاجراء .. فبقدر ما وصلت اليه ظنوننا ، نعتقد ان الآنسة شيرمان قد قاومت قاتلها فى عنف .. فقد عثرنا تحت اظافر يدها على آثار دماء .. ليست دماءها . مما يبعث على احتمال وجود بعض آثار سحجات ظفرية بجسم القاتل .

وذهب الى المطبخ ففتحه ببساطة كما لو كان فى داره . قال :

ـ فى وسعك الآن أن تأتى يا مسز آشبى .. فى الواقع لدى سؤال اود توجيهه اليك .

وكان يتحدث بلهجة مرحة ، وكأنه يلتمس منها الصفح .

ـ ما هى آخر مرة شاهدت فيها زوجك فى غرفة الآنسة شيرمان ؟ .

مسكينة كريستين ! . لقد امتقع وجهها .. وهى تنقل عينيها من احدهما للآخر .

ـ لست ادرى .. دعنى اتذكر ..

ـ شكرا .. هذا كل شيء فلا تشغلي بالك .. لم يكن الا اختبارا بسيطا .. لو انك اجبت على الفور (الاثنين مساء) لخطر فى ظنى انك اما رتبت هذه الشهادة مع زوجك .. او كنت تتصنتين من ثقب المفتاح ! .

ـ ولكنه فعلا كان فى مساء الاثنين .. لأنه ...

ـ شماعة المناشف .. اعرف هذا .. اشكرك يامسز آشبى . الى اللقاء يا سبنسر .. امتاهبة انت يا آنسة مولر ؟ .

وتنفس سبنسر الصعداء أخيرا .. لقد اجتاز الاختبار الاول ، وسوف تتاح له فرصة استعادة هدوئه قبل أن يعودوا مرة اخرى .

واذ كانت كريستين تدرك انه سيمضى بعض الوقت قبل أن تعود الأمور فى البيت الى سابق مجراها الطبيعى ، فقد اعدت مائدة الطعام بصفة مؤقتة فى المطبخ .

ـ لماذا يأتى ولبورن الينا مرة أخرى ؟ .

ـ لقد اكتشف آثار دماء تحت اظافر بيل .. وهو يحب أن يتأكد .

ولاحظ ان كريستين فى حالة نفسية سيئة .. وخيل اليه انها تشارك القوم شعورهم بالاتهام والشك .. فوضع يده على كتفها فى رقة .. وسألها بصوت حان :

ـ امازلت على ايمانك ببراءتى ؟ .

كان يدرك ذلك يقينا .. فقط أراد أن يعبر لها عن شكره وامتنانه .. فلقد كانا اكثر من صديقين يحمل كل منهما للآخر كل اخلاص ومودة .

وجلسا الى المائدة الصغيرة وابتسم لها ابتسامة خفيفة لم تكن مرحة حقا .. لكنه كان متاكدا من انها وصلت لقلبها .

مادامت هى مؤمنة ببراءته فلن يهمه اى مخلوق وليطلق من شاء لسانه ، وهل للناس شاغل الا التندر والكلام ؟ .

ثم الم يكن زواجهما الذى تم منذ عشرة أعوام مثار دهشة الناحية وظل مادة دسمة لحديث الناس فى مختلف الدوائر وكأنه حدث لم يتوقعه احد ؟ .

كان وقتئذ فى الثلاثين من سنى حياته ، وكريستين فى الثانية والثلاثين .. تقيم مع والدتها . وقد قر فى اذهان الناس جميعا انه قد فاتها القطار ولن تتزوج ابدا .. ولم يلاحظ احد اهتمام آشبى بها ..

لم يرافقها ابدا .. وكان المكان الوحيد الذى يتلاقيان فيه هو مدرسة كرستغيو .. حيث كانت كريستين منذ وفاة أبيها عضوا فى مجلس الادارة بها . ثم بدأا يتقابلان فى مباريات كرة القـدم والبيسـبول او فى الرحلات المدرسية ..

وكانا فى بادىء الأمر يعتقدان بأن ما بينهما ليس الا صداقة بريئة بين زميلين فى محيط واحد ولا يمكن أن تنتهى الى ابعد من ذلك . فقد كان لدى كريستين وامها ثروة لا بأس بها : اما هو فكان يقيم فى جناح المدرسين غير المتزوجين الملحق بالمدرسة .. وربما امضى عطلة الصيف جائلا فى فلوريدا او المكسـيك او كوبا او اى مكان آخر .

ولا يعلم احد بالضبط كيف تم ذلك . ولا يستطيع ايهما ان يحدد سبب اتخاذهما تلك الخطوة فى النهاية . فقبل ان يتحدثا صراحة فى ذلك كان عليهما ان ينتظرا وفاة أمها التى كانت مريضة بالسرطان ولا تحتمل وجود شخص غريب فى بيتها .

وقالت كريستين :

ــ يخالجنى شعور باننا سوف نستقبل الضابط افريل مرة اخرى بعد فترة وجيزة ..

ــ نعم .. وانا ايضا .

ــ كانت شقيقته معى فى المدرسة .. انهما من جوشن !.

وكانت تلك حالهما دواما .. يشـتركان فى نفس المشـاعر والاحاسيس .. تتجاوب ارواحهما فى حنـان ورقة . ثم حينما يستبد بهما الحياء والخجل .. يبدآن فى التحـدث عمن عرفاه او فيما يرغبان ابتياعه من لوازم الدار .

وساءل سبنسر نفسه عما اذا كان ينبغى عليه ان يحدثها عن السيدة نيشان .. وعما خيل اليه انها تبعث اليه برسالة ما من

خــلال نافذتها .. ذلك الشعور الذى ما زال يراوده ويلح عليه بشدة .

وكان ذلك غريبا حقا .. فما كان بين الاسرتين اية صلات او علاقات سابقة بالرغم من انه لا يفصل بين الدارين سوى الطريق ولم يسبق ان تبادلت السيدتان ى حديث ولا حتى كلمة واحدة على سبيل التحية ، وما كان ذلك لخطأ من اسرة نيشان . كذلك لم يكن السبب فى ذلك اسرة آشبى .. او على الاقل ليس السبب مباشرا .

بل كان السبب الاكبر أن أسرة آشبى من قدامى السكان فى المنطقة .. بل اقدمهم جميعا حينما لم تكن ترى الا بيوتا تعد على الاصابع الواحدة فى المنطقة كلها .. يكونون فيما بينهم ما يشبه الأسرة الواحدة .. ثم بدات بعض العائلات الغريبة من نيويورك والبلاد الأخرى تنزح اليها لتبنى فيلات وبيوتا مؤقتة لقضاء فصل الصيف فقط ، ويصلون فى سيارات فاخرة جدا ولا يلبثون الا اياما ثم يرحلون .

ولكن السيدة نيشان كانت من القليلات اللاتى يمكثن طول فصل الشتاء .. بمفـردها .. الا من خادمتـين تقـومان برعايتهـا ، ولعل الذى اثار تحفظ اهــل البلدة وريبتهم انها وهى الجميلة الصغيرة الشابة التى تتميز بملامح شرقية وبجمال يبهر الشـباب والشيوخ .. كانت تعيش بلا رجل يحميها او يغار عليها .

وكان السيد نيشان زوجها يكبرها بما لا يقل عن ثلاثين عاما قصير القامة مفرط البدانة كانه صندوق ضخم اذا مشى امامك رايته يباعد ما بين ساقيه ليحفظ توازنه وكانه امراة حبلى ! .

فهل يا ترى كانت مبالغته فى الغيرة عليها هى التى حملته على ان يكون معها فى مكان قصى ؟. كان رجلا واسع الثراء موفور المال يمتلك مؤسسة ضخمة للجواهر لها عشرات الفـروع فى مختلف انحاء البلاد .. وكان يأتى فى سيارته الكاديلاك السوداء يقودها سائق طويل القامة . ويمكث اياما قليلة مدتها اسبوعا او اكثر .

ولم يأت ذكرهما على لسان آشبى أو زوجته ابداً. كانايتجاهلان سكان تلك الدار . وهى أقرب الدور اليهما ، بل فى مواجهتهمـــا مباشرة ؛ وان كانا يشعران تقريبا بكـل ما يدور فيه ويعلمان به تماما وكأنهما فى منزلهما .

ويبدو أن الوحدة كانت شاقة على نفس السيدة الصغيرة .. فكنت تراها تخرج عن جادة صوابها فى بعض الأحايين ، وتخـرج لتلعب مع الأطفال امام الباب وكأنها واحدة منهم أو كأنها لا تجد ما يشغلها .. فتخلع ثوبا لترتدى آخر .. حتى يتعدد اشـكال ثيابها فى اليوم الواحد دون أن يكون هناك من يعبر عن اعجابه برشاقتها أو جمال هندامها .

فهل كانت تحاول أن تجذب نظر سبنسر ؟. وهل من اجله هو كانت تتعب نفسها وتجهد أصابعها فى الجلوس أمام المعـزف حيث تعزف عشرات المقطوعات فى ابداع ومهـارة وانسـجام لساعات متأخرة من الليل ؟ .

قال سبنسر لزوجته :

ـ لقد حذرنى ريان بأننا سـوف نضطر لاستقبال عشرات الصحفيين .

ـ نعم . هذا ما اتوقعه انا ايضا . هل انتهيت من طعامك ؟.

وخيل اليهما انهما يعيشان فى فراغ كبير .. حتى نظراتهما كانا يتحاشيان أن تلتقى بحركة لا شعورية ولا ارادية .

حساسية تحدث لكل انسان يتعثر فى طريقه فيسقط عفوا منه أمام الناس .. لابد أن تمر بعد أن ينهض وينظر حواليه يمنة ويسرة فلا يجد أحدا ينظر اليه أو يضحك عليه .

منذ ساعات فقط كانا يتناولان الافطار . وليس ثمة ما يعكر صفاء صداقتهما .. أما الآن ...

ـ هذه سيارة ولبورن ..

ـ سأستقبله .. فما حضر الا من اجلى .

هل يلومه احد لو كانت فى صوته مرارة ؟ . انه سيعرض جسمه لتعبث فيه اصابع كانت منذ لحظات وجيزة تقطع جثة بيل وتقوم بتشريحها ؟ . هذه الاصابع التى ماتزال بيضاء ناصعة وباردة من اثر ما دلكها الطبيب بالماء والصابون ليزيل عنها آثار الدماء ورائحة الموت ؟ .

ـ اعتقد ان ريان قد اخبرك بمهمتى .. هل تذهب فورا الى غرفتك ؟ .

وكان يحمل حقيبته السوداء وكأنه فى سبيله لزيارة مريض .

وتذكر سبنسر حينما لاحظ بقعة داكنة فوق شفتى الطبيب. انه سمعه يقول مرة انه كلما قام بتشريح جثة اضطر لأن يضع سيجارا ضخما بين شفتيه لا يتركه ابدا وينفث دخانه الكثيف باستمرار حتى لا تزكمه رائحة الموت .

يا للسماء .. من المستحيل أن يبعد ذكرى تلك الفتاة بيل ، وشبحها الماثل دواما أمام عينيه .

ـ اية سحجات او خدوش او ندوب قديمة ؟ .

كانت اصابعه الباردة تتحسس جلده . وبعد لحظة قال :

ـ افتح فاك .. مرة اخرى .. اوسع قليلا .. هذا حسن .

ولابد أن الطبيب كان فى قمة سروره واستمتاعه وهو يشاهد صديقه ريان يسلط سوط عذابه على آشبى .. وها هو ذا الآن يفتش فى جسمه بحثا عن ادلة تكفى لشنقه .

ـ ما سبب هذه الندبة ؟ .

ـ انها عندى منذ خمسة عشر عاما على الأقل ولا اتذكرها .

ـ وهذه ؟ .

ـ حريق .. من اثر انفجار موقد .. قبل الزواج .

ـ حسنا .. تستطيع ان ترتدى ثيابك الآن .. جسمك سليم تماما .

ـ وماذا يحدث لو كنت قد عثرت مصادفة على خدش او سحج .. هب انى جرحت نفسى وانا احلق ذقنى فى الصباح او المساء ؟ .

ـ سوف يؤكد المعمل الجنائي ان كانت دماؤك من نفس الفصيلة .

ـ هب انى ...

ـ لا تفزع .. انهم لن يشنقوك .. فلابد من المرور باجراءات كثيرة معقدة لا تتصورها .. فهذا النوع من الجرائم لا يرتكبه اى انسان .

والتقط حقيبته .. وفتح فاه .. وقد بدا عليه كأنما هو بصدد افشاء سر خطير .. ولكنه أغلق فمه أخيرا وهو يقول :

ـ سوف تظهر تطورات جديدة عما قريب .

ثم اردف بعد صمت قصير :

ـ يظهر انك لم تعرف الفتاة جيدا .

ـ انها تقيم معنا منذ شهر فقط .

ـ اكانت زوجتك تعرفها ؟ .

ـ لم ترها من قبل .

واومأ الطبيب براسه فى تأن شديد .

ـ واضح انك لم تلاحظ شيئا . اليس كذلك ؟ .

ـ اتقصد موضوع الشراب ؟.

ـ هل أخبرك عنه ريان ؟ . لقد جرعت اكثر من ثلث الزجاجة حتى بدأنا نشك فى أن أحدا سكبه فى حنجرتها ، او انها شربت كل ذلك القدر وهى غائبة عن وعيها .

ـ لم نشاهدها ابدا وهى تشرب خمرا ..

وخيل اليه انه يلمح وميضا خبيثا فى عينى الطبيب .. ثم وجه سؤاله الثانى فى الحاح غريب .. وقد تعمد أن يهمس به فى صوت خافت كأنما هو سر بينهما .

ـ الم يلفت نظرك اى شىء شاذ فى سلوكها ؟ .

لماذا تذكر آشبى فى تلك اللحظة تلك الصورة اللعينة التى شاهدها ايام صباه فى فرمونت .. وابتسامة « بروس » اللعينة

النكراء ؟ . لقد كان الطبيب العجوز يحاول بدهائه ومكره استخلاص اعتراف من آشبى قد يساعد العدالة فى شنقه .

ـ الا تفهم ما اعنى ؟ .

ـ لا اظن ان احد يفهم ما تعنيه ..

ولم يصدقه ولبورن .. ومع ذلك فقد تردد قبل ان يستأنف حديثه .. فقد كان فى الموقف بعض الحرج .

ـ بالنسبة لك .. هل كانت اكثر من فتاة شقية فى دور المراهقة .. مثل مثيلاتها من الفتيات ؟ .

ـ لم اكن انظر اليها الا كابنة صديقة عزيزة لزوجتى .

ـ اما حاولت ان تبث لك اسرار قلبها ؟ .

ـ لم تحاول ابدا .. بالتأكيد .

ـ وانت .. ألم تحاول ابدا التحرى عما يشغل قلبها ؟ .

ـ وما شأنى بها ؟ .

ـ الم تتردد عليك مرة فى غرفتك فى اثناء غياب زوجتك عن الدار ؟ .

واشتد غضب آشبى .. ومع ذلك فقد اجاب فى اقتضاب :

ـ لم تتردد ..

ـ معذرة .. انا اشكرك واصدقك ايضا .. وخاصة ان التحقيق ليس من عملى .

وقبل ان ينصرف الطبيب تريث برهة لتحية كريستين التى كانت تغلق باب الثلاجة الكهربية وناداها باسمها الأول .. فهو يعرفها مذ كانت طفلة .. وربما كان له فضل ظهورها على وجه الأرض .

ـ هانذا اسلم اليك زوجك سليما وفى احسن صحة .

ولم يبد عليها انها تشاركه فى مرحه . وفى النهاية انصرف وهو يبتسم بمفرده .

ولكنه ترك وراءه بذورا من الشك فى ارض خصبة بالغة الحساسية .

ومن آثار ذلك .. شعور آشبى نفسه بأن لابد وراء اسئلة الطبيب الكثير من الشائعات التى لا يستطيع بنفسه الافصاح عنها ولابد انها تساور اذهان المحققين ، وقد علم بها الطبيب بحكم اتصاله الوثيق بهم .

واراد أن يضعها على مائدة البحث والتمحيص مع كريستين حتى يزيل أى أثر احتمالى فى نفسها يتعلق بتلك الفكرة الكريهة المستحيلة . ولكنه فضل الصمت حتى لا يزيد من دقة الموقف المتأزم بينهما .

الفصل الرابع

لم تهب تلك العاصفة العاتية التى تنبأت بها نشرة الأرصاد الجوية ؛ وكان الثلج قد توقف عن الهبوط ، ولكن ريحا باردة شديدة ظلت تهب طول الليل . وكان سبنسر قد هجع فى فراشه بيد أن النوم ابى أن يزور عينيه فبقى مسهدا اكثر من ساعة ونصف .. واخيرا نسل من فراشه فى هدوء وانطلق الى الحمام ، وحينما شرع فى فتح باب الصيدلية الصغيرة محاولا عدم احداث أى ضوضاء توقظ كريستين من نومها، سمعها تناديه من غرفة النوم المظلمة ..

ــ ماذا بك .. اتشعر بشىء ؟ .

ــ سأتناول قرصا منوما ..

وادرك من صوتها انها هى الأخرى قد جافاها النوم . فقد كان ثمة جلبة فى الخارج لم تنقطع طول الليل عبارة عن طرق مستمر تبين فى الصباح أن مصدره قطعة من قماش ستارة الشرفة الخارجية السميك كانت الرياح الشديدة قد مزقتها وظلت تضرب الجدار بجوار النافذة طول الليل .

وهدأت الرياح بطلوع النهار . ولكن بعد ان تركت اكواما جديدة من الجليد فى امكنة تجمع المياه فى الحفر المتناثرة هنا وهناك ، وكان فى وسع الانسان ان يرى من مكانه فوق التل ، رتلا من السيارات وهى تتحرك فى بطء شديد فوق الجليد ، اذ ان عربات النقل المحملة بالرمال لم تكن قد بدأت عملها بعد .

وتناول طعام افطاره كما اعتاد ان يفعل كل يوم ثم ارتدى معطفه وقفازيه ، وحذاءه الطويل ، وقبعته ثم حمل حافظة اوراقه الجلدية ..

وكانت كريستين تنتظره بجوار الباب وعلى فمها ابتسامة جميلة .. ومدت يدها اليه مصافحة وهي تقول :

ــ سوف ترى !. ايام قليلة .. وينسى الناس كل شيء ! .

وشكرها بابتسامة رقيقة ..

وكانت مخطئة في ظنونها .. حينما اعتقدت ان ما يزعج خاطره ويقلق باله هو خشيته من مقابلة الناس ، امثال اولئك الذين يتجمعون عادة كل صباح عند سفح التل ، ومواجهة نظراتهم التى سوف تسلط عليه من كل جانب .. وكلها شك واتهام وريبة سواء اكانت في السر ام علانية . ولقد كان لها عذرها .. فحتى ساعة متأخرة من الليلة الماضية ، والتليفونات لاينقطع رنينها . وصديقاتها لا يفتأن يتصلن بها من كل فج عميق .. سائلات مستفسرات ..

ومرة اخرى ظهر رجال المباحث والشرطة يحومون في ضباب الفجر حول الدار يشمون الهواء ككلاب الصيد . ينتقلون من بيت لآخر يجمعون المعلومات ويستقون الاخبار من اى سبيل ..

ولم تعلم ان ما طرد النوم من عينيه تلك الليلة . لم تكن كلام الناس ، ولم تكن نظراتهم المريبة ، ولا تلك القطعة من القماش التى ظلت ترتطم بحرف النافذة بصوتها المزعج الرتيب .. لا هذا ولا ذاك في الحقيقة .. بل هو شبح !. لم يكن شبحا واضح المعالم مثلما يراه الانسان في احلامه . لانه لم يكن نائما .. كذلك لم يكن مستيقظا تماما .. اقصد انه كان في اول درجات النوم .. وذاكرته ما زال بها احساس خفيف لما يدور حواليه .. او ما نسميه باحلام اليقظة .

كانت امامه .. وعلى اول درجة من السلم القصير .. « بيلي » بلحمها وشحمها تماما كما سبق ان رآها مستلقية فوق ارض حجرتها حينما فتحوا الباب وجعلوه ينظر اليها . وكانت هناك دقائق لم يكن في وسعه أن يحققها وقتذاك .. ولكنها اضيفت الى

الشبح .. بعد ان اكملت ذاكرته اللوحة .. من الصورة التى كان « بروس » زميل الصبا اللعين قد عرضها عليه منذ كثير من الاعوام الماضية ..

وكان ولبـــورن .. يقف ايضـــا بجـوار الشـبح .. وفى عينيه ومضات الخبث .. وعلى شفتيه ابتسامة شريرة صـفراء وهو قريب الشـبه .. لدرجة غير معقولة .. بذلك الوقح «بروس» !
وشعر .. من فرط خجله .. بالعرق الغزير يغمر جسمه .. وحاول جاهدا قدر استطاعته أن يتخلص من ذلك الـكابوس المفزع وكان صوت الطرق لا يزال ينفذ من بعيـــــد الى عقله الواعى .. كأنما هى مطرقة القاضى .. يلطم بها ظهر القمطر أمامه حتى يسكت اصوات الجماهير التى كانت تنادى وتهتف بعبارات لم يميزها .. اهى ضده ام لمصلحته ..

وسالته كريستين .. وقد قرات ملامح الاعياء بادية حـــول عينيه :
ـ أمتعب انت ؟.
كان يعلم ان لونه ممتقع .. وقد أحزنه ان يرى .. وفى وضح النهار .. ذلك الشبح مرة أخرى يبدو له بعيدا .. فى اثناء ما كان يرتدى حذاءه الطويل بجانب باب غرفة الجلوس .. عبر النافذة .. حينما رفع رأسه لينظر الى بيت آل نيشان !.
ولابد انهم سيعلمون قبل سطوع الشمس أن السـيدة نيشـــان كانت تريد أن تقول له شيئا . فلقد راى رئيس الشرطة وهو يطرق بابها .. ولا يدرى اكان ذلك بعد أن اتصلت بهم تليفونيا .. أم هو أمر اجرائى اقتضته تحريات رجال الشرطة .. فى مجرى ابحاثهم وتحرياتهم ؟. وكان ذلك حوالى الرابعة من مساء امس .. حينمـــا ترك السيد هولوى سيارته امام بيت نيشان .. ولم يغادره الا بعد فترة طيبة من الوقت .
ـ هل رأيت يا سبنسر ؟.
ـ اجل ..
وكان يحاول الا يشعر كريستين بأنه مهتم بذلك البيت المقابل.. وساكنته الجميلة الوحيدة .

وفى تلك اللحظة وصلتهما البرقية التى أرسلتها لورين .. تعلن انها غادرت باريس فورا وفى طريقها اليهما . على اول طائرة .

وفى ذلك الصباح .. كانت الستائر ما تزال مسدلة على نوافذ السيدة نيشان . واخرج أشبى سيارته من الحظيرة وادارها منطلقا بها فى بطء شديد فوق أرض المشى المنزلقة .. وقبل أن ينحرف بها صاعدا التل ، دون أن يبالى بعيون الناس الذين كانوا يتجمعون هناك .. ويحملقون فيه فى فضول . كانوا مجموعة من القوم.. ليست بينه وبينهم أية صلات وطيدة ولقد حياهم كالعادة بتحريك يده فى الهواء .

واضطر ان يدير ماسحة الماء بسبب الضباب الذى تكاثف على الزجاج الامامى وحجب الرؤية امامه .. ثم توقف عند بائع الصحف حيث يجد نسخته من صحيفة نيويورك تايمز كل صباح.ولكنه اختار بدلها نسخة من صحيفتى هارتفورد و ووتر برى المحليتين .

ـ ما أفظع ذلك الحادث يا سيد آشبى .. لا بد أنه سبب لك انزعاجا شديدا .

واصطنع ابتسامة وهو يجيب « نعم » .

ولابد ان الذى كتب مقال صحيفة هارتفورد .. هو ذاك المحرر البدين متوسط العمر ، رث الثياب الذى كان يبدو عليه انه قليل الاهتمام بمنظره .. ولكثرة تنقلاته وسعيه وراء الأخبار لا يكاد يجد سكانا ينام فيه وهو يذرع الولايات عرضا وطولا فيقضى لياليه فى قطارات السكة الحديدية أو فى الحانات والمقاهى أو ربما على قارعة الطريق .

ولقد صعقت كريستين حينما اندفع من الباب .. ولم تكن قد رأته أو سمعت به من قبل .. وهو يتحدث ويتصرف بلا كلفة.. كأنما هو فى منزله .. ويدعوها « سيدتى الصغيرة » أو «سيدتى الرقيقة » وكان يجول فى أنحاء البيت وكأنما قد حضر ليشتريه يرفع قطعة الأثاث ويزنها ويقيس قطعة السجاد ويمعن فى النظر فى الجدران والابواب وينقر عليها بأصابعه ويفحص الطلاء . بل انطلق الى غرفة « بيل » ومضى يقلب الفراش الذى تعبت كريستين فى تنظيمه ..

واخيرا ، حينما القى بجسده الثقيل المجهد فى المقعد الكبير رمق آشبى بنظرة استفهام غامضة .. ولما لم يفهمها اشبى اشار باصبعه نحو فمه .. يطلب اى نوع من الشراب .

وفى اقل من ساعة .. كان قد افرغ اكثر من ثلث الزجاجة فى جوفه .. دون ان يكف طول الوقت عن القاء الاسئلة وتسجيل الملاحظات .. وكأنما قد اقسم ان يملأ كل الوريقات التى معه ..

وفى النهاية ، عند ما اقبل زميله محرر صحيفة « ووتربرى » استوقفه عند الباب وقال له فى صوت الأب الحنون :

ـ كفى ما لقيه هؤلاء الناس الطيبون من العناء بسببى ! لقد اتعبتهم وجودى .. انصرف وسألحق بك فى مقر الشرطة .. وسأزودك بكل ما تطلبه من المعلومات .

ـ هل اخذت صورا ؟ .

ـ حسنا .. سوف انتهى منها فورا .

وظهرت فى صدر الصفحة الاولى مجموعة من الصور .. احداها للبيت من الخارج واخرى للفتاة « بيل » وثالثة لغرفتها . وكان كل ذلك متفقا عليه . اما فى الصفحة الداخلية فكانت ثمة صورة لغرفة آشبى الخاصة او عرينه كما يسميه ، وكان المحرر قد فاجأ آشبى على غرة منه وهو عاكف على منشاره يشرح كيفية استعماله . وكان فى الصورة علامة × تشير الى الدرجة العليا من الدرجات الثلاث .. المكان الذى وقفت فيه بيل فى الليلة السابقة .

وكان بائع الصحف ينظر الى آشبى فاغرا فاه وكأنه ينظر الى حيوان غريب تحدثت عنه الأساطير ، وكذلك فعل اثنان من العملاء اشتريا الصحف ورمقاه بنظرات غريبة قبل ان يسرعا بالانصراف . وكما لم يكن يتوقع اى خطاب فانه لم يعرج على مكتب البريد وعاد الى سيارته وانطلق بها حتى منتصف الطريق الموازى للنهر .. حيث أوقف سيارته جانبا .

انه لن يجد وقتا لقراءة الصحف فى المدرسة ، ثم انه لم يقابل فى المساء احدا من الرجال الرسميين .. ريان او افريل او حتى هولوى ، بالرغم من ان الاخير شوهد بسيارته امام دار آل نيشان لكنه لم يحضر لرؤيته .

ولقد ازعجهما ذلك الهدوء ، واثر على اعصابهما ، اكثر مما احدثته مأساة الصباح ومتاعب التحقيق . ولولا حضور رجال الصحافة ، لأمضيا الوقت الباقى من النهار وحيدين ، والناس يمرون امام نوافذ الدار حتى ساعة متأخرة من الليل ، وكان صوت الاقدام مسموعا فوق قطع الجليد المجروش .

وكان موقفهما دقيقا وهما لا يعلمان ما أسفر عنه التحقيق او ما استجد فيه ، ولا يستطيعان الرد على الاستعلامات المتوالية من الاصدقاء تليفونيا ، وقد خيل اليهما ان المحققين يتعمدون قطيعتهما . فالاتصال الذى يمكن أن يطلق عليه صفته الرسمية ـ كان اتصال الآنسة مولر ـ سكرتيرة السيد ريان ، لسؤالهما عن عنوان اسرة شرمان بفرجينيا ، وقد اجابتها كريستين بقولها :

ـ اما اخبرتكم بانكم لن تجدوا هناك احدا ؟ السيدة شيرمان بباريس . وستصل هنا غدا .

ـ نعرف هذا . ولكنا نريد عنوانهما على اى حال .

وكان الجو داخل السيارة شديد البرودة ، وماسحة الضباب تتحرك على الزجاج الامامى ذهابا وايابا . ولا تفتأ تذكره بقطعة قماش المقصورة التى ظلت تزعجه بدقاتها المستمرة طول الليل .

وكان المقال طويلا .. ولم يستطع ان يقراه حرفيا . والا فاته موعد المدرسة ، فمضى يحرى عينيه على الصحيفة وراء اى انباء جديدة .. قرأ :

« والمعروف انه فى كل نوع من الجرائم تتجه شبهات رجال الشرطة اولا نحو أصحاب السوابق . وبالفعل قد تم حتى عصر اليوم استجواب اثنين من اهالى المنطقة كان قد سبق اتهامهما منذ بضعة أعوام فى قضايا خلقية ، ويقوم رجال الشرطة بعمل أدق التحريات لحصر حركاتهما وسكناتهما خلال الليلة الماضية » .

وذهل آشبى ، فلم يسمع ابدا بحدوث اية جرائم خلقية خلال الفترة التى اقامها فى تلك الانحاء ، كذلك لم يرد أمامه ذكر اى انسان سبق اتهامه بتلك الجرائم ، لا فى المجتمعات ولا على لسان

اصدقائه . وتساءل : ترى من يكون هذان الرجلان .. وماذا صنعا ؟ .

« كذلك اشار الطبيب ولبورن . وهو رجل يتميز بالغموض وقلة الكلام ، بأن ثمة تطورات قريبة هامة تستبعد تماما النظرية القائلة بأن القاتل لابد ان يكون مجنونا منحرفا وقطب سبنسر حاجبيه .. كان لديه شعور غامض بأن ولبورن لم يقصد حدا سواه . وخيل اليه انه يرى الطبيب يبتسم ابتسامته الصفراء مكشرا عن انيابه فى حقد ، ملوحا له بحبل المشنقة .

« ولم يشأ الطبيب أن يفصح بما يعتقده هو شخصيا . لكنه لمح من بعيد بأن الفاعل لو كان مجنونا ، فانه قلما يفكر او يعبأ بذلك التدبير المحكم الذى أخفى به كل آثار جريمته .. الآثار التى يتركها عادة كل مجرم وراءه فى مكان الحادث . كذلك مما يسترعى النظر ان الجانى لم يقتحم المنزل عنوة .. ولو كان غريبا عن الدار .. »

وحتى لا يفوته موعد المدرسة . راح يمر على كثير من السطور مر الكرام .

كان فى نفسه شعور عميق بالخجل ، وهو يقف هكذا بسيارته على قارعة الطريق منتحيا جانبا متوسط المسافة بين البيت والمدرسة ، كأنه يفر بنفسه منهما معا ، ولا يحب أن يراه احد .

والتقطت عيناه تلك العبارة فى الفقرات الأولى من المقال :

« ويبدو انه قد بات مؤكدا ان الضحية لم تقاوم قاتلها مقاومة عنيفة ، اذ تبين ان جسمها كله خال من الاصابات فيما عدا الكدمات حول العنق » .

وود لو استطاع الا يفكر فى الأمر بمثل هذا الحماس وتلك الاهمية البالغة ، وهو لم يطرح الموضوع للمناقشة حتى فيما بينه وبين كريستين .. ولو سمعهما أحد يتحدثان طول الليل عن الجريمة ، لظن انه لا يوجد باعث بتاتا على ارتكابها . اما وقد اتجهت أفكار الباحثين الى ان الباعث عليها هو ارتكاب جريمة خلقية ثم قتل الضحية ، فذلك لاشك اتجاه خطير فعلا .

وقلب آشبى الصحيفة ، دون أن يتم قراءة المقال ، واسترعى نظره فقرة باسم السيدة نيشان ، وكانت تلك هى المرة الاولى التى يعلم فيها ان اسمها « شيلا » .

« وحقيقة اخرى تمخضت فى اثناء التحريات ربما ساعدت فى تضييق حلقة البحث ، فلم يعد خافيا أن ما أحير رجال الشرطة هو كيف استطاع القاتل أن يدخل الدار دون ان يقتحم الباب او يكسر احد النوافذ ، مع ما هو معروف من أن القتيلة عقب عودتها من السينما كانت قد هبطت الى حيث يعمل مضيفها السيد سينسر آشبى فى غرفته الخاصة ، ولم تلبث الا دقيقة ثم انصرفت وهو آخر وقت شوهدت فيه على قيد الحياة .

« ففى التاسعة والنصف مساء .. ولا يمكن تحديد هذا الوقت بالضبط .. غادرت السيدة شيلا نيشان مقعدها أمام المعزف . علما بأنها تملك منزلا يواجه المنزل مكان الحدث تماما غادرت معزفها لتستريح قليلا . وتصادف أن ألقت نظرة عابرة من النافذة ، ولاحظت عندئذ شبحين بين ظلال المشى .. عرفت فى احدهما (بيل شيرمان) وكانت تتحدث مع رجل طويل القامة لم تهتم السيدة نيشان بأن تحقق النظر فيه .

« وبعد برهة دخلت الفتاة البيت بعد أن فتحت بابه الخارجى بمفتاح أخذته من حقيبة يدها ، ثم اغلقت الباب خلفها . ولكن الرجل لم ينصرف بل ظل واقفا أمام البيت .

« وبعد دقيقتين او ثلاث .. فتح الباب مرة أخرى . ولم تخرج بيل شيرمان .. ولم تشاهدها السيدة نيشان فعلا .. ولكنها لمحت يدا تبرز من فجوة الباب ، تناول الرجل الواقف فى الخارج شيئا ، ما كاد يأخذه حتى انصرف على الفور .

« فهل كان ذلك الشيء يا ترى .. مفتاح الباب الخارجى ؟ » .

« فقد قررت السيدة آشبى بدورها أنها كانت قد عطت بيل شيرمان منذ شهر مضى عندما حضرت للاقامة بيتهما . مفتاحا خاصا بها ، وحتى هذه اللحظة لم يمكن العثور على ذلك المفتاح لا فى غرفة بيل شيرمان ولا فى حقيبتها أو فى أى جيب من جيوب ثيابها .

« ولم يهدأ رجال الشرطة طوال امس ، فاستجوبوا عـــددا كبيرا من شبان القرية وضواحيها ، وحتى صدور هذه الطبعة لم يصل لعلمنا بأن احدا قرر انه رأى القتيلة فى السينما أو فى اى مكان آخر .. »

وفوجىء آشبى بصوت نفير احدى السيارات يدوى بشدة بجوار اذنيه .

وكان ذلك هو « هوايت ووكر » والد احد تلاميذه قادما من اعلى التل ملوحا له بيده محييا .. مما بعث الـكثير من الارتياح فى نفسه .. انها التحية الطبيعية المـالوفة التى تحدث كل يوم وكأن شيئا ما لم يحدث .

ولـكن .. ألن يتجاذب ووكر الحديث مع من سوف يقابله من الناس ويذكر لهم انه شاهد الأستاذ آشبى منتحيا بسيارته جانبا من الطريق ؟ .

وبدأ يصعد التل بسيارته .. وهو لايدرى سببا لذلك الحزن الذى يغمر قلبه ..

وكان الطريق مالوفا له.. كل شجرة وكل حجر فيه.. حتى ذلك البناء المنخفض ذى السقف الأخضر الذى اقام فيـه اعواما كثيرة قبل آن يتزوج .. ذلك هو جنـاح العـزاب فى مدرسـة أكرستفيو .

ولم يبق من زملائه العزاب سوى فرد واحد ، أما البـاقون فقد تزوجوا ، او رحلوا الى كليات وجامعات ارقى .

فالمدرسون شانهم شـأن الطلبة ، يرتقون كل عام من فصل دراسى لآخر ، حتى عام التخرج حيث ينتقلون الى مرحلة أعلى ، وينبغى على طالب الفصل الأول ان يحترم زميله من الصف الثانى وهـكذا .

وكان الاسـتاذ الأعزب .. استاذ اللغة اللاتينية ، أشـيب الشـعر ينظر اليه باقى المدرسين الذين هم أصـغر منه سنا نظرة تبجيل واحترام .. وينادونه باسمه مسبوقا بكلمة «الاستاذ» .

وترك آشبى سيارته فى مكان انتظار العربات، وصعد فى الدرج ثم نزع حذاءه الطويل ومعطفه الصوفى الثقيل ، وكان باب مكتبه

الآنسة كول مفتوحا كالعادة ، وما كادت تلمحه داخلا حتى وثبت من مكانها واسرعت تقول في لهفة :

ـ كنت اتصل توا بداركم لاستفسر عما اذا كنا نتوقع حضورك اليوم .

وابتسمت له ، ولا شك انها كانت مسرورة برؤيته مرة اخرى ومع ذلك فقد ود لو لم تحملق فيه ، كما يحدق الانسان فى صديق عزيز يترك فراشه عقب مرض خطير كان يهدد بموته .

ـ سوف يسعد السيد جيس بلقياك ، كذلك جميع الأساتذة .

ومن وراء الباب الزجاجى الكبير ، كانت الصالة الكبرى حيث كان الطلبة يستعدون لدخول فصولهم ، وبدأت ضجتهم تخفت وتهدا رويدا رويدا . وكلما شاهد آشبى منظرهم ، عادت به الذكريات الى طفولته السعيدة .

وافاق على صوت الآنسة كول تخاطبه :

ـ هل تعتقد انه قد يكون احد افراد مجتمعنا ؟ .

كانت تسلك نفس طريقة تفكيره ، وطالما ساءل نفسه : ايمكن ان يكون ذلك السفاح المتوحش انسانا تعرفه القرية ويعيش بين اهليها .. وربما يشاركهم فى الطعام والشراب ويداه مخضبتان بدماء ضحيته ، ولعله يتامل فريسة اخرى ؟ .

ـ لست ادرى يا آنسة كول ، ولكن تاكدى انه سوف يلقى جزاءه .

ـ لقد اذاعوا نبأ الحادث من محطة نيويورك ضمن نشرة هذا الصباح .

وضم حقيبة اوراقه تحت ابطه ، ثم فتح الباب الزجاجى وانطلق مباشرة الى فصله .. كان فى اعماقه يخشى الصغار اكثر من الكبار ، ربما لانه تذكر وجه بروس الشقى .. وخيل اليه انهم لا يجسرون على التحديق فيه علانية ، ويتظاهرون باستغراقهم فى الحديث فى اثناء مروره بهم ، وكان يلاحظ الاضطراب باديا على بعض الاولاد كانما كانوا يلوكون سيرته ثم فوجئوا بظهوره .. فاسرعوا يغيرون موضوع الحديث فى سذاجة ، فتوقفت الكلمات فى حلوقهم .

كان لهم عذرهم بلا ريب ، فلم تظهر براءته رسميا بعد ..
والى ان يضع الشرطة القيد فى معصمى الفاعل الاصلى ، لن يكف الناس عن تناول القضية بالبحث والتحليل ، وربما مال بعضهم الى اتهامه ، وحتى لو لم يتهمه احد ، فهو يشعر بان الامور لن تنتهى بسلام . ولا بد ان يخلف الحادث شرخا عميقا فى مرآة حياته لن يزول ، الى ان يشاء الله .

وما اشد ما اغضبه ريان - صباح امس - وساءته طريقته فى التحقيق .. فلقد كان قاضى التحقيق حسيسا وضيعا عاطلا من الذوق ولم يترفق بآشبى وهو يحاوره كانه مجرم اثيم .

ولكنه لم يعد يفكر فى ريان ؛ بقدر ما شعر بالكراهية والاشمئزاز نحو ولبورن ونظراته الحادة التى كانت تنفذ فى جلد آشبى كالابر المسمومة . وبسببه .. هو يرى الآن - رغم وقوفه أمام ثلاثين طالبا - شبح بيل مائلا ا ا عينيه تلك الصورة التى يتمنى أن تمحى من ذاكرته ، غرفة النوم حينما فتح الطبيب بابها ودفعه اليها ليرى ما قد يبدو على وجهه من انفعالات قد تؤكد اتهامه .

ولابد أن كريستين كانت تشك فيه وقتذاك .

فكم تلميذا يا ترى من بين تلك الوجوه المرفوعة اليه يؤمنون فى قرارة انفسهم بانه هو الذى قتل بيل ؟ .

- آدمز ! هل تستطيع أن تحدثنا عن تجارة الفينقيين ؟ .

وكان يسير ذهابا وايابا فى بطء بين صفوف المقاعد ، وقد عقد يديه خلف ظهره ؛ ولعل احدا منهم لم يخطر بباله أن هذا الرجل قد قضى جل حياته بين تلك المقاعد . بدأ بذلك وهو تلميذ ، ثم بعد ذلك حين امتهن التدريس ، ولم يفكر فى اختيار مهنة اخرى . وحتى حينما تزوج كريستين ، واضطر أن يغادر المبنى الدراسى ليعيش فى منزلها ، شعر كانما قد انتزعوه من حقل حبيب الى قلبه . وحياة سعيدة الفها بين عنابر النوم والمعامل والفصل .

- قف يا لارسون ! وصحح لنا الخطأ الذى وقع فيه آدمز فى التو واللحظة .

- معذرة يا سيدى . لم اكن منصتا لما يقول .

ـ جننجز ! .
ـ انا .. لم الاحظ يا سيدى .
ـ تايلور ...

ولم يكن من عادته تناول طعامه فى داره ، اذ كان يتعين على كل مدرس أن يشرف على مجموعة من الموائد التى يجلس عليها التلاميذ ، وفى فسحة منتصف الحادية عشرة القصيرة تبادل بعض العبارات مع زملائه فى موضوعات لا تمس الحادث من قريب أو بعيد وخامره شعور بأن الجميع يحاولون أن يكونوا دمثين معه ، فيما عدا ـ طبعا ـ ريان وولبورن ! .

ولم يشاهد الا لمحة خاطفة من السيد جسن ناظر المدرسة من بعيد وكان يخرج من مكتب ليدخل غيره .

وحينما انفرد بنفسه ليتناول طعام غدائه فى غرفته ، اقبلت الآنسة كرل تقول فى اضطراب واضح :

ـ ان السيد جبس يرجو ان تذهب اليه فى مكتبه .

ولم ينزعج ، وكأنه كان ينتظر ذلك الاستدعاء منذ الصباح أو كأنه لم يعد ثمة ما يسبب له مزيدا من الانزعاج ، بعد ما لقى طول نهار امس ، فانطلق الى مكتب الناظر وطرق الباب ، ثم دخل وظل واقفا ينتظر .

ـ اننى لفى غاية الحرج يا آشبى . وأرجو أن تعاوننى وتسهل لى مأموريتى .

ـ أنا فاهم .. يا سيدى .

ـ لقد تلقيت بالامس ثلاث مكالمات تليفونية كانت من الوقاحة بحيث لم تتحملها اعصابى ، ويبدو ان قضيتك قد اذيعت صباح اليوم على الاثير من محطة نيويورك الاذاعية و ...

يا للشيطان ! انه يقول « قضيتك » !

ـ وفى هذا الصباح ، تلقيت اكثر من عشرين مكالمة فى فترة لا تتجاوز ثلاث ساعات ، وفى الحقيقة لم تكن عنيفة او غير مهذبة مثلما كانت بالامس ، ويلوح لى ان آباء الطلبة قد بدءوا يدركون أن الامر بعيد عنك اطلاقا ، ولكنهم فى نفس الوقت يشعرون بأنه

كلما ابتعدت اذهان الطلبة عن التفكير فيه ، كان ذلك أفضل ، وانا واثق من انك تشاركهم هـذا الراى ايضا ، ولن يزيدهم وجودك بينهم الا ...

ـ اجل يا سيدى .

ـ بعد ايام قليلة ، يكون التحقيق قد انتهى والشعور العام قد هدأ ..

ـ اجل .. يا سيدى .

وبالرغم من انه لم يعترف لمخلوق بذلك .. ولـكنه فى تلك اللحظة بالذات .. بكى ! بكى من غير دموع .. آجل . لقد أحس بالم شديد يحرق جفونه ! وربما ترقرقت دمعة واحدة واهتزت أهدابه قليلا . ولم يلاحظ السيد جبس شيئا ، اذ كان آشبى يرسم على شفتيه ابتسامة مشجعة وهو يقول :

ـ ساضع نفسى رهن اشارتك ..

ـ لا ذنب لك فيما حدث حقا ، وانى لارجو ، انه سرعان ما .. الى اللقاء !

كان ذلك الموقف الذى لم يستغرق سـوى لحظات من ادق واعنف ما واجه آشبى طول حياته ! بل اكثر اهمية وخطورة مما فى وسع الناظر نفسه أن يقدره !.

وما كان ليدهش او ليغضب لو أن ذلك قد حدث ممن يتوقع حصوله من ريان مثـلا ، أو من ذلك الطبيب الذى يعتبره آشبى عدوا طبيعيا له . اما ان يحدث ذلك من مستر جبس .. فذلك ابعد الأشياء عن العقل والمنطق ! .

لقد امضى جل سنوات عمره متفانيا فى خـدمة الجميع .. وكانوا يرون فيه مثال الصدق والنزاهة والاخلاص وينظرون اليه بكل تقدير واحترام . فلم يتوقع ابدا ان ينبـذ على هـذا النحو لمجرد أن فتاة تدعى بيل لقيت حتفهـا فى ظروف غامضة تحت سقف بيتـه ، فذلك امر مفزع ، هزه من أعمـاقه هزا ، أمر بعيـد من التصور حقا ، بل هو الظلم الفادح بعينه !

وادرك انه من الافضل الا يرهق نفســه بالتفكير .. او يترك قلبه نهبا للهواجس والظنون .

ومضى يلتمس الاعذار لناظر المدرسة ، كان حديثه خلوا من اى نقد او ما يوحى بالشك والاتهام .. وكل ما قاله الرجل فى ادب جم ، انه يفضل ، ولو لبضعة ايام ...

ويبدو ان الانســة «كول» كانت تعلم ، فما كاد يمر بباب مكتبها حتى استوقفته وقالت له وهى تتكلف المرح :

ـ سوف نراك سريعا ، سريعا جدا ، انا جد واثقة !

كيف وماذا يقول لزوجته .. حتى يفسر لها ما حدث ؟..

أيقول ان المدرسة التى احبها واخلص لها قد طردته ؟ على الاقل لفترة ما ؟ .

وانطلق نحو سيارته ، وكادت قدمه تنزلق ويسقط على الجليد لولا انه تماسك ، ثم ادار محركها واتجه الى البيت ، وتوقف عند مكتب البريد ، ولم يجد سوى خطابين للاعلان من بعض المتاجر ، ولكن كانت هناك سيدتان من امهات التلاميذ فرمقتاه فى فضول ودهشة ، ولابد انهما ليستا من اللواتى ازعجن الناظر بالتليفون ، وقد عجبتا حين ابصرتاه يغادر مدرسته فى هذا الموعد .

ولمح امام داره احدى سيارات الشرطة ، وشاهد الضابط آفريل فى غرفة الجلوس مع كريستين . ونظرت اليه زوجته فى دهشة :

ـ من راى ناظرنا انه من الافضل الا يرى الاولاد وجهى .. لبضعة ايام .

وكان يبتسم ابتسامة خفيفة .

وقال آفريل :

ـ لقــد سمحت لنفسى ان اتطفل لاجاذب زوجتك اطراف الحديث ، فقــد علمت ان الســيدة شيرمان على وشك الوصول واردت ان اعرف عنها شيئا قبل ان تحضر عصر اليوم ، وفى نفس الوقت شعرت برغبة فى ان آخذ صورة كاملة عن حياة ابنتها .

ـ ساذهب الى غرفتى .. اذن .

ـ لا . لا . ليس فى الامر ما تخفيه عنك . وفى الواقع لم أدهش لما حدث فى المدرسة ، بل كنت اتوقع ان اجدك هنا . واعتقد انك قد اطلعت على صحف الصباح ؟ .

ـ لم الق عليها الا نظرة عابرة .

ـ ان فى بعض ما تكتبه الصحف شيئا من الحقيقة ، والباقى لا يخلو من الخيال ، ومع ذلك فان اللوحة التى رسمتها عن القضية فيها كثير من دقة التصوير .

وكانت كريستين تاتى ببعض الاشارات ، وتحاول توجيه نظر الضابط الى أن آشبى لم يفهم . وأخيرا سألته :

ـ هل أقدم لك كأسا من الشراب يا سيدى الضابط ؟ .

ووافق آفريل على الفور ، كان في نيته ان يصبغ زيارته بالصبغة الاجتماعية بعيدا عن الرسميات .

ـ هل تعلم بأن أول ما حيرنا فى تلك القضية هو الشراب ؟. فلو أن ذلك الحادث قد وقع فى الطريق وكانت الفتاة من ذلك الطراز الذى نقابله عادة فى المقاهى المنتشرة فى الخلاء ، لكان الامر ايسر كثيرا .. اما فى هذا البيت ..

وادرك سبنسر أن آفريل كان يعلم منذ صباح امس ان القتيلة قد احتست كمية من الشراب . وهذا يؤكد ان ولبورن قد شم رائحة فمها بل ربما راى زجاجة الخمر خلف المقعد ذى المسندين قبل ان يطلب من آشبى الدخول لرؤية الجثة .

وكان لذلك مغزاه لقد رفض الطبيب من اول وهلة فكرة كون الجانى غريبا عن الدار ، وركز كل شبهاته واتهامه فى سبنسر آشبى .

فهل كان فى منظره او سلوكه ما يثير الشك ؟ او بعبارة أوضح « هل كانت تبدو عليه امارات توحى بأنه القاتل ؟

انه لم يكن ليهتم بدراسة الجرائم الخلقية من قبل. ومعلوماته عنها لا تزيد على ما يعرفه اكثر الناس من قراءة الكتب والمجلات . ولقد ذكرت الصحيفة ان فى المنطقة رجلين سبق لهما ارتكاب

هذا النوع من الجرائم ، ومع ذلك فاكبر الظن انهما ليسا خطرين والا لما تركوهما مطلقى السراح . واكتفوا بوضعهما تحت الملاحظة فحسب . ولا شك فى انهما نماذج بشرية جديرة بالدراسة .. لسوف يحاول ان يعرفهما ويراقبهما عن كثب .

وادرك من حديث آفريل .. انه انما يردد أصوات الجماهير .
فلو كان الفاعل مجنونا .. او غريبا .. او متشردا يضرب فى الارض على غير هدى .. أو وحشا من اى نوع ، لاختلف الوضع وسهل سبيل البحث .

وكلما تعمق آشبى فى التفكير ، اكتشف من حين لآخر حقائق غابت عنه ، وزادت حيرته وذهوله .
فمثلا ، ما تبين من أن الفتاة قد جرعت كمية وافرة من الشراب القوى برغبتها ومحض ارادتها ، الأمر الذى لا يفعله اى انسان للمرة الاولى ، فهل كانت مدمنة سكيرة ، وهى فى تلك السن الصغيرة ؟ .

كذلك لم تكن قد ذهبت للسينما ، ولم تحضر مع شاب تطوع لمرافقتها الى باب منزلها ثم انصرف بسلام ، وانما جاءت وهبطت لعرين آشبى ، بعد أن تركت رجلا فى الخارج ، رجلا تسللت اليه بعد أن تأكدت من استغراق مضيفها فى هواياته ، وفتحت له الباب واعطته المفتاح !

فهى اذن .. لم تكن بالفتاة الطاهرة الساذجة الصغيرة التى كان يتصورها ، بل فتاة لا تستحيى من ادخال رجل فى غرفتها .
الم تلمح الصحيفة من بعيد .. ان فحص الجثة قد قطع بعدم وجود اى دليل على المقاومة ؟ .
كل ذلك كان يعلمه ولبورن من بادىء الأمر ، ومع ذلك فلم يستبعد احتمال ان يكون آشبى هو القاتل .

وذلك ما ازعجه واقلق باله ، فلقد عرفه ولبورن منذ أكثر من عشرة أعوام ، وعالجه اكثر من مرة ، ولعب معه البريدج مرارا .. وكان صديق العمر لكريستين واسرتها ، ثم انه رجل وافر الذكاء

وخبرته سواء فى مهنته او فى النفس البشرية تفوق بكثير خبرة طبيب القرية العادى .

ومع ذلك فهو يميل للاعتقاد ان آشبى هو الرجل الذى ارتكب الجريمة النكراء .

وكان يحاول طول الوقت جمع الأدلة فى صمت بمفرده حتى يفوز برقبته قبل ريان .

وتذكر آشبى كيف كان يبتسم له فى الصباح ثم حرصه الشديد على فحصه بتلك الدقة المتناهية ، وخيبة أمله التى بدت عليه حين لم يجد اقل دليل يستند اليه .

وتامل الضابط آفريل وهو يجلس باش الوجه ، يحمل كاسه بين اصابعه ، وشعر برغبة شديدة فى أن يدعوه الى عرينه ويوجه اليه سؤالا هاما :

ـ هل ترى فى تكوينى او فى ملامحى ما يؤكد اشتباهكم فى اننى القاتل ؟ .

ولكن حال دون ذلك احساس بكرامته ، وفوق ذلك ، لم يشأ أن يثير غبارا من الشك يبدو انه بدأ يهدأ ، رغم ما يجمعونه ضده من الأدلة .. ولكن .. أثمة أدلة ضده حقا ؟ لقد ثبت ان جسمه خال تماما من اى آثار ، على حين قرر الطبيب صديقه ريان من أنه قد عثر على دماء تحت اظافر القتيلة .. ثم .. ذلك الرجل الذى كان يقف خارج الباب وشاهدته شيلا يتناول شيئا من يد بيل فى الظلام .. لم يثبت أنها ناولته شيئا . كذلك لم يثبت بالدليل القاطع انها ناولته المفتاح ، ولم يشاهد ذلك احد سوى السيدة نيشان ، فلم لا تكون المذكورة قد تطوعت باختلاق تلك الواقعة مدفوعة برغبتها فى مساعدته ؟ ليس من الضرورى أن يكون الباعث على ذلك هو العطف ، فطالما لاحظ انها تختلس النظرات اليه من نافذتها باهتمام كبير ، ولعل ذلك من اول الاسباب التى كانت تضطره لعدم التحدث مع كريستين فى شان اسرة نيشان .

وكان آفريل يقول :

ـ لقد طلبنا من ادارة المباحث العامة أن تنشط بالبحث في فرجينيا ، لان جهاز البوليس المحلى هناك ضعيف ، وكل ما علمنا منه انه سبق ضبط الآنسة شيرمان وهى تقود السيارة فى حال سكر فى الثانية من صباح احد الايام .

فهتفت كريستين وقد اتسعت عيناها دهشة !

ـ فى سيارة امها ؟ .

ـ لا بل فى سيارة شخص متزوج كان برفقتها ، وقد خفظت القضية بسبب مركز ذلك الرجل فى المجتمع .

ـ وهل علمت لورين بذلك الحادث ؟.

ـ بالتأكيد . ولن ادهش اذا ما سمعت ان الوالدة كانت تعانى متاعب كثيرة من ابنتها ، ونحن فى انتظار وصول تقارير من عدة مدارس كانت الفتاة تذهب اليها .

ـ عجبا . أنا لم الحظ عليها شيئا من ذلك . ولا اى من اصدقائى ، لقد قدمتها لعدد كبير من صديقاتى ، وخاصة ممن لهن بنات .

مسكينة انت يا كريستين ! انها تلقى اللوم على نفسها ، لانها لم تتحر سلوك ضيفتها ، وما سوف يجره عليها ذلك من لوم صديقاتها .

ـ انها لم تكن تستعمل المساحيق قط . كذلك قلما كانت تهتم بمنظرها او هندامها ، حتى لقد كنت كثيرا ما اضطر للفت نظرها بأن تعنى بمنظرها امام الناس .

وابتسم آفريل وقال :

ـ اتبدو امها طبيعية فى تصرفاتها ؟ .

ـ لورين ؟ انها احسن مخلوقة فى الوجود ! وبما بدا صوتها مرتفعا قليلا ، أو حادة الطبع قليلا ، أو عاطلة من الكثير من صفات الانوثة . هذا حقيقى ولكنها طيبة القلب وصريحة جدا .

ـ هل تتكرمين يا مسز آشى بتحرير قائمة باسماء العائلات التى تعرفت بها الآنسة شيرمان عن طريقك ؟.

ـ سأكتبها لك حالا . ان العائلات المذكورة ليست كثيرة ، ولا

تزيد على عشر . هل اكتب لك اسماء تلك التى تخلو من الرجال ايضا ؟.

وهز آفريل راسه وقال فى مرح :

ـ لا . يكفى ذلك .

واذ مضت الى قمطرها الصغير فى الركن المجاور للمدفاة .. تحول آفريل الى آشبى وساله باسما :

ـ يبدو انك لم تنم جيدا ليلة امس .

ـ ترى هل كان يهدف الى شىء ما ؟ .

ـ نعم . فى الواقع انا لم انم طول الليل . وعندما حاولت ذلك فاجانى كابوس مفزع .

ـ يخيل الى ـ اذا لم اكن مخطئا فى ظنى ـ انك لم تعتد الخروج مع النساء ولا تميل اليهن كثيرا .

ـ اجل . هذا حقيقى . لقد نشات على ذلك . ولعل السبب فى ذلك انى لم اتلق تعليمى الا فى مدارس خاصة بالبنين . ولم يكن يباح الاختلاط . وحين تخرجت . لم اكن اغادر بناء المدرسة التى اعمل فيها الا نادرا ، وهكذا لم تتح لى الظروف ان اختلط كثيرا بالجنس الاخر ، سواء فى حياتى كتلميذ او كمدرس .

ـ هل تعلم بأن عرينك قد استهوانى جدا ! اتسمح بأن القى عليه نظرة ثانية ؟ .

ونهض آفريل ، وكأسه ما تزال فى يده ، وأغلق الباب وراءه ..

ـ هل احضرت هذا المقعد معك ؟ .

ـ كان ملكا لوالدى .. ولعله الشىء الوحيد الذى احتفظت به بعد وفاته .

ـ امات منذ وقت طويل ؟ .

ـ منذ عشرين عاما تقريبا .

ـ اكان مريضا ؟ ما سبب وفاته ؟.

وصمت آشبى لحظة ، ونظر حواليه كأنما يلتمس المعونة من كل شىء مألوف حوله ، وفى النهاية نظر الى آفريل وأجاب :

ـ كان يريد ان يموت .

وكان من المضحك أن يسمع نفسه يقول ذلك ، ولكنه هز راسه وهو يستطرد قائلا :

ـ كان ينتمي الى ما نسميه الان بالاسرة العريقة ذات الماضي المجيد ، وتزوج بفتاة لا تقل عنه نبلاً ومجداً .. أو هذا ما قالته وقتذاك ، ولكنه لم يسلك السلوك القويم الذي يتفق مع شرف أسرته .

واشار آشبي الى زجاجة الشراب الذي كان قد احضرها معه ..

ـ وحينما خشي على كرامته من فرط ادمانه الشراب وحتى لا يسخر الناس منه ...

وصمت : وفهم الآخر ما يعنيه .

ـ وهل مازالت وألدتك على قيد الحياة ؟ .

ـ لا أعلم ، واحسب انها كذلك .

وربت آفريل على مسند المقعد في حركة عاطفية ، كما لو كان يربت على ذراع صديق قديم .

الفصـــل الخامس

كانت الساعة قد قاربت منتصف الرابعة ، وبدأت الظلال تنتشر في غرفة الاستقبال ، ولم تكن المصابيح قد اضيئت بعد ، لا في تلك الغرفة او في الردهة ولا في اي مكان آخر خلاف غرفة النوم التي كانت تنبعث منها اصوات عادية تنبئ بأن كريستين ترتدي ثيابها استعدادا للخروج . وكانوا يتوقعون قدوم لورين بقطار نيويورك الذي يصل في الرابعة والثلث . والمحطة تبعد ميلين عن البيت . وكريستين ستذهب بمفردها . فجلس سبنسر بجوار المدفأة واغمض عينيه ، وراح يجذب انفاس غليونه من وقت لآخر .

وكان ظلام المساء ينشر غلالته فوق القرية ، واضواؤها تزداد بريقا كلما امتد الوقت .

ولابد ان كريستين كانت في تلك اللحظة تجلس على طرف فراشها وقد خلعت لتوها الخف لترتدي حذاءها ، حينما انطلق

في داخل الفرفة خطان من النور الساطع .. عبرا السقف في سرعة ، قبل ان يتوقفا نهائيا امام باب بيت آل نيشان ، وتعرف آشبى على سيارة السيد نيشان .. وكان السائق قد فتح الباب ثم اغلقه .

كانت سيارة جميلة من أحدث طراز .. لها صوت ليس مثل السيارات الأخرى . حين تقف أو تسير . لقد عاد السيد نيشان ربما لبضع ساعات ، ربما لبضعة أيام ، لايدرى احد ابدا ، ورمق آشبى نوافذهم وهويتساءل عما اذا كانتالسيدة نيشان قدسمعت السيارة ، وهل ستكلف نفسها عناء النزول لاستقباله . أليس من العجيب حقا انه وهو الذى يجاورها منذ أعوام ، لم يعرف اسمها الا من الصحف !. والآن وقد عرفه ـ بدا يشعر بأن الاسم يثير الخيال ، ويكاد يعتقد انها قد انحدرت من احدى العائلات القديمة التى تسكن على ضفاف البوسفور فى جزيرة بيرا ..

وجلس آشبى يتامل اللهب فى المدفأة . واحس برغبة فى النوم ، وكانت السيارة ذاتالأنوار المبهرة قد انصرفت الىالحظيرة وكانها نمرة متوحشة ، استطاع مروضها كبح جماحها ، وعند ذلك ارتفع صوت سيارة اخرى ذات محرك مدو قديم ، كانت تبذل جهدا لترتقى التل ، وكأنها امراة عجوز تلفظ انفاسها الاخيرة .. وعرف انها تتبع محلا للحدادة وصناعة الاقفال فى نيويورك من الكتابة التى ظهرت واضحة على جنبها . وتوقفت هى الاخرى امام بيت نيشان .

وخرج منها ثلاثة رجالوقفوا ينصتون الى رجل ضخم الجثة قصير القامة كأنه صندوق بضائع ، وهو بباب داره يشير اليهم بأن يفعلوا شيئا لم يتبينه آشبى تماما .

ويبدو ان السيد آشبى قد سمع بالحادث وهو فى نيويورك ، وخشى على زوجته من أن يفكر الجانى فى تكرار الحادث معها ، فاستحضر المختصين معه ليضعوا مزيدا من الاقفال المتينة والمتاريس على الأبواب او ربما جهازا كهربيا يعطى انذارا فى الوقت المناسب .
واندفعت كريستين الى الفرفة وهى تهتف :

ـ هل ابطأت عليك ؟ .

وقبل ان يجيب سمع طرقا على الباب الامامى وتحرك المقبض فنهض ليفتح الباب واذا به يفاجأ بامرأة اطول وأعرض منه بكثير غريبة الهيئة ، لها منظر الرجال المصارعين ، ترتدى معطفا من الفرو زادها ضخامة ، فوق رداء من الصوف لونه باهت صدىء .

ولم يكتشف كل ذلك مرة واحدة ، لأن كل شيء كان يجرى بسرعة مذهلة ، ولكنه صعق لصوتها الحاد ، ورائحة الشراب المنبعثة مع أنفاسها .

ـ كريستين هنا . أليس كذلك ؟.

ولاحظ لأول مرة ، حينما شرع فى اغلاق الباب ، أن ثمة سيارة اجرة صفراء اللون تقف خلف عربة الحدادين .

قالت :

ـ ارجو ان تحاسب السائق . الاجر متفق عليه من المطار ، ولا فائدة من المساومة ، ثلاثون دولارا .

وهتفت كريستين من غرفة نومها ، وقد سمعت صاحبة الصوت ..

ـ لورين ! ..

ولم يكن معها سوى حقيبة متوسطة الحجم حملها سبنسر بعد ان دفع اجر التاكسى .

وقال السائق :

ـ هل صحيح ما اخبرتنى به عن ابنتها ؟.

ـ لقد قتلت . اجل .

ـ فى هذا البيت ؟ .

واخرج رأسه من النافذة ، ليلقى نظرة واضحة ، نفس الطريقة التى تراها من جمهور المتاحف حين يحملقون فى أى شيء ليسجلوه فى أذهانهم ويتحدثوا عنه بعد ذلك مع الدنيا كلها !

وكانت المرأتان تتحدثان بصوت مرتفع وكانهما على وشك الانخراط فى البكاء ، ولكنهما كانتا تتنفسان فى عمق ، ولم تذرف احداهما دمعة واحدة .

وقالت لورين :
- اهنا وقع الحادث ؟ .
واراد سبنسر أن يواسيها ، لكنه امسك وقد شعر بخيبة أمل ، فهي وان لم تكن اكبر سنا من كريستين ، لكنها كانت تبدو كذلك فعلا ، وكان شعرها اشيب مشعثا ، وفي وجهها شعرات كأنها اعتادت ان تحلق ذقنها .. ولم يكن يبدو بتاتا .ان هده المخلوقة الدميمة ، كانت ذات يوم طفلة صغيرة وسيمة خفيفة الظل ، بل على النقيض تماما ، لم يكن فيها ما يشير الى انها والدة « بيل » .
- الا تستريحين قليلا من عناء السفر ؟.
- .. قبل كل شيء .. اريد جرعة من الشراب .
كان صوتها خشنا كصوت الرجال . وحدجت سبنسر مرتين أو ثلاث مرات بنظراتها الحادة المتفرسة .. ثم لم تعد تهتم به بعد ذلك، اكثر من اهتمامها بجدران الغرفة .. رغم علمها بأنها في بيته .
- ابعيد ذلك المكان الذى نقلوها اليه ؟.
- خمس دقائق من هنا .
- يجب ان اذهب فورا الى هناك .. سوف يتعين على القيام ببعض الاجراءات .
- وما الذى تنوينه ؟ هل ستحملينها معك الى فرجينيا ؟.
- أوتظنين انى اتركها تدفن غريبة وحيدة هنا ؟.. لا وشكرا. لاتضيفي ماء ..
وجرعت الشراب صافيا .. ولاحظ سبنسر ان عينيها حمراوان ولم يدر اكان ذلك بسبب الحزن الشديد ، أم لفرط ما احتست من الشراب في رحلتها . وتمنى سبنسر من اعماقه لو ان ام بيل كانت خلاف هذه المراة ؟.

وكانت قد وضعت حقيبة يدها فوق المنضدة ومعها مجموعة من الصحف التى اشترتها في الطريق . ومن بينها صحيفة دانبرى التي مرت بها منذ ساعة فقط . واسترعى نظره عنوان كبير بالمداد الاحمر يشير الى مصرع بيل .. ولكن آشبى لم يمس الصحيفة .
- ماقولك في حمام ساخن يجدد قواك ؟ وكيف كانت رحلتك ؟.

ـ لابأس .. في الواقع لست ادري .
وكانت ملصقات شركة الطيران ماتزال تلمع على الحقيبة وبجوارها اشارة موظف الجمرك بالطباشير ..

واخذت كريستين تحاول اقناعها بمرافقتها الى الغرفة الثانية ولورين تتغابى وتصر على عدم الفهم .. وادرك سبنسر انها لا تريد ان تبارح زجاجة الشراب باى ثمن . ولم تتحرك قبل ان يعيد ملء كأسها . وعندئذ نهضت مع كريستين واغلق الباب خلفهما .
ترى ، هل تعمدت مخاطبته .. كما تخاطب احد الخدم .. حين امرته بان يدفع الأجرة لسائق التاكسى وتركته يحمل حقيبتها ؟.
وكان السيد نيشان فى الجهة المقابلة يذرع الغرفة عاقدا يديه خلف ظهره .. امام النافذة الكبيرة .. وكانه يتناقش فى حدة مع شخص آخر غير ظاهر .. ربما بشأن ماتم من الاحتياطات .. ولابد انه كان يحاول اقناع شيلا الجميلة .. بانه لمصلحتها قد اقام ذلك السياج المعقد من الاسلاك الكهربية .. حتى لاتتكرر المأساة.
وشعر آشبى بالضيق .. وكره نيشان فجأة .. برغمه وبلا سبب مفهوم .

وكان نيشان أصلع الراس .. فيما عدا شعيرات قليلة تستطيع ان تحصيها على اصابع يدك الواحدة .. مشطت بعناية فائقة بالفرشاة .. حتى تزين قمة جمجمته الملساء!.
وكان وجهه .. ككرة القدم المستديرة .. ناعما .. ولابد انه اغرقه بالعطور والمساحيق .

وخرجت كريستين من غرفتها تمشى على اطراف اصابعها ووضعت سبابتها على شفتيها .. وانطلقت الى التليفون ..وادارت القرص ، على حين كانت تنبعث من داخل الحمام اصوات كأن امراة تفرغ مافى جوفها ..

وادرك آشبى من ملامح زوجته انها هى الاخرى قد اصيبت بخيبة الأمل لما صارت اليه حال صديقتها ورفيقتها أيام الدراسة . .
ـ هالو .. مكتب قاضى التحقيق ؟ اريد ان اتحدث مع السيد ريان .

ووضعت راحتها على البوق وقالت لزوجها فى صوت خافت !.

ـ لقد طلبت منى ان احدد موعدا .

ثم تحولت الى بوق التليفون وهتفت :

ـ هالو .. انا كريستين آشبى يا آنسة مولر . هل استطيع ان اتحدث لحظة مع السيد ريان ؟ سأنتظر .. نعم !..

وخفضت صوتها وقالت لزوجها :

ـ انها تريد السفر فورا ..

ـ متى ؟.

ولكنها لم تجد وقتا للاجابة .

ـ السيد ريان ؟ آسفة لازعاجك .. كما اخبرتك . كنت اتوقع وصول صديقتى لورين عصر هذا اليوم بقطار نيويورك ولكنها فاجأتنى بحضورها منذ قليل . اجل .. انها هنا .. كلا .. لم تذهب الى هناك بعد . ماذا تقول ؟. لست ادرى .. منزلى بلا شك رهن اشارتها .. واذا اردت انت ان تحضر الينا لاستجوابها .. عفوا ! لحظة واحدة حتى اسالها .. على اى حال ، لن نستطيع الوصول قبل ساعة على الاقل .. او ربما ساعة ونصف ..

وهرعت الى غرفتها .. وهى تبتسم معتذرة لزوجها الذى لم يتحرك من مكانه .. وكان مايزال يجذب انفاس غليونه وبعد ان غابت لحظات مع لورين .. عادت مرة اخرى الى التليفون.

ـ هالو .. لقد اتفقنا .. سنذهب مباشرة الى ليتشفاد ... سنحضر فى سيارتى .. خلال ساعة ..

وخرجت لورين من الغرفة وسالت بصوتها المخيف :

ـ ماذا فعلتم بحقيبتى ؟.

ـ حقيبة يدك ؟.

ـ لا .. بل حقيبة ملابسى طبعا ..

وكان آشبى يحلم ببيل .. وهى بعيدة عن عينيه .. قريبة من قلبه .. انها لاتشبه امها ابدا .. لاشكلا ولا موضوعا .. ولكنه الآن .. قد تبين مع اى نوع من الامهات قد امضت تلك المسكينة حياتها التى لم يقدر لها ان تطول !.

وبدا يلتمس لها المعاذير ..

وشعر في تلك اللحظة ان نفسه تذوب حسرة وحزنا عليها رغم مرور ساعات طويلة على مصرعها ..

فما سمعه حتى ذلك الحين كان يوحي بأن سلوكها لم يكن فوق مستوى الشبهات .. ولكن هل كانت الا طفلة مراهقة ؟!

قالت كريستين :

ـ سنضطر الى تركك ياسبنسر ..

ـ اجل . اعرف ذلك .. الى اللقاء .

ـ نرجو ألا نبطىء عليك .. لورين شجاعة تمتاز بأعصاب قوية .. ولكنها مجهدة جدا من السفر .

وكانت لورين ترمق الزجاجة بعينيها الحمراوين في شوق . وبدا كأن كريستين في حيرة . لو انها حرمتها كأسا أخرى ، فلسوف تصر على ايقافها في الطريق لتعرج على احدى الحانات .. ولا يعلم الله كم كأسا تحتسيها عند ذاك . وربما صارت في حالة لن تسمح لها بالمثول امام المختصين في ليتشفيلد .. أليس الأفضل ان تعطيها ماتطلبه هنا .. بعيدا عن انظار الناس الذين سوف يلوكون سيرة صديقتها وبالتالي .. سيرتها ؟.

ـ كأس واحدة لاغير .. ثم ننصرف ..

واشرق وجه لورين ارتياحا ..

ـ وانت .. الا تشربين ؟.

ـ لا .. ليس الآن .. شكرا ..

ـ انا لا احب الطريقة التي ينظر بها زوجك الي .. وعلى أية حال .. لست أحب الرجال .

ـ هيا يالورين ..

وساعدتها في ارتداء معطف الفراء .. وفي حشر جسمها الضخم داخل السيارة ..

وظل آشبي في مكانه لحظة لايتحرك .. ثم .. حين فرغ الفليون .. نهض لدقه على حرف المدفاة ، واذ استوى واقفا مد يده وتناول احدى صحف لورين .. ولم تزد معلوماتها على ما نشر في الصحف المحلية .

والأمر الذى استرعى نظره .. هو بيانات أوفى عن الرجلين اللذين سبق أن أشير اليهما فى الصحيفة المحلية . فقد نشرت الصحيفة الحروف الأولى من اسميهما مع لقبيهما مما أتاح لآشبى أن يعرفهما على الفور .. قالت الصحيفة:

« واستجوبت الشرطة شخصا باسم ف. ارفنج فى تحقيق طويل . ولقد استطاع ان يثبت انه كان بعيدا عن مكان الحادث وقدم شهودا كثيرين على ذلك . وكان قد حكم عليه منذ ثمانية عشر عاما بالسجن عامين لارتكابه جريمة خلقية ، ولكنه .. منذ ذلك الحين يسلك سلوكا مستقيما ».

« ويمكن ان يقال نفس الشيء عن المدعو د . بول .. الذى حكم عليه فى مثل تلك الجريمة بادخاله مستشفى المجاذيب ــ ثم خرج منها .. وكان سلوكه منذ ذلك الوقت فوق الشبهات » .

ف. ارفنج ! انه العجوز فيشر كما كانوا يطلقون عليه فى القرية مهاجر ألمانى لجأ للبلاد منذ أمد طويل .. ما زال يتحدث بلكنة اجنبية .. يعمل بستانيا فى حديقة مصرفى مشهور يقيم فى نيويورك وكان له على الاقل سبعة أو ثمانية اطفال واحفاد ايضا يقيمون معه فى بيت واحد .. وكان آشبى يراه فى الصيف كل يوم تقريبا . اذ كان باب الحديقة التى يعمل فيها تفتح على طريقه الذى يسلكه الى المدرسة . وكانت زوجته قصيرة القامة عريضة الصدر تكون شعرها الفضى الأشيب فوق قمة رأسها ..

أما الثانى .. فاذا لم يكن آشبى مخطئا .. فهو يدعى دانبردج وهو مقاول اعمال . رجل ذو ثقافة واسعة فوق مايتوقعه الانسان من شخص فى حرفته . وقد سمع آشبى أنه فعلا كان قد ادخل احدى المصحات بسبب مرض فى الرئة .

وكان هو الآخر زوجا لسيدة عليها مسحة من الجمال .. هادئة الطبع ، دمثة الاخلاق خجولة .. طالما احبتها كريستين لوداعتها وجمال ملامحها ..

ودهش آشبى .. حينما الفى نفسه يفكر فى جمال النساء ..

ان كريستين نفسها .. كانت متوسطة الجمال .. ولكن لم تكن لها تلك الانوثة الطاغية المتفجرة فى الاخريات .. اللاتى هن محور

تفكيره فى تلك اللحظة . ولا تأثير للسن فى ذلك . فحينما عرفها لأول مرة لم تكن قد جاوزت الثامنة والعشرين ، وامتدت صداقتهما فترة طويلة من الوقت قبل أن يثار موضوع الزواج بينهما .

ولقد رأى فى البوم للصور العائلية القديمة .. عدة صور لها وهى ما بين السادسة عشرة والعشرين ولم يتغير شكلها كثيرا عما كانت فى الماضى .

ولم يتذمر أو يتضايق .. فى ذلك الوقت لأنه لم يكن يفكر فى الزواج من غيرها .. وكانت فى عينيه . تشغل مكان الشقيقة أو الأم التى ترعاه وتعدله طعامه وبيته .

بيد أن الأمر مع بيل كان يختلف تماما ..

لم يكن يلقى لها بالا حينما كانت تغدو وتجىء أمامه .. ولكنه يدرك الآن أنها كانت على جمال يختلف عما عهده فى كريستين .. كذلك الحال مع شيلانيشان .. وحتى تلك الفتاة التى تعمل سكرتيرة للسيد ريان .. الآنسة مولر .. والتى لا يعرف اسمها الأول .

وعندما دق جرس التليفون .. ظل فترة طويلة يحملق فيه دون أن يتحرك .. ثم نهض اليه وفى نفسه شعور بالأسف .

ـ هالو .. نعم .

ـ سبنسر ؟.

وكانت كريستين هى التى تتحدث .

ـ نحن فى لينشفيلد .. بمكتب قاضى التحقيق . وقد تركت لورين منفردة بريان وأنا أحدثك الآن من الصيدلية المقابلة .. فقد فكرت فى أن ابتاع مايلزم البيت حتى تنتهى لورين من الاستجواب . ورأيت أن اتصل بك حتى لاتقلق .. كيف انت ؟.

ـ على خير حال .

ـ ألم يضايقك أحد ؟.

ـ نعم .

ـ هل أنت فى عربتك ؟.

ـ لم أذهب اليه بعد ..

لماذا كل ذلك الاهتمام به ؟ كان جميلا منها أن تسألَ عنه .. بيد أنها كانت تدقق في سؤالها عما يفعله .

ـ أني أتساءل كيف ندبر امورنا الليلة . هل ترى ان من اللائق ان نطلب منها النوم في غرفة بيل ؟.

ـ ولماذا لاتنام معك ؟.

ـ الا تغضب اذا ..

لماذا تتحدث في كل ذلك ؟ انها تعلم ان لورين .. لست ممن يسهل اقناعها بشيء .. فهي تشق طريقها بقوة عضلاتها .. وتتخذ قراراتها بنفسها !.

وكيف حال ريان ؟.

ـ انه مشغول كعادته . وهناك مجموعة من الناس ينتظرون مقابلته .. وهم من ابناء قريتنا وخاصة من الشباب والأحداث ..

ـ اراني مضطرا لوضع السماعة .. فهناك من يقرع الباب.

ـ حسنا .. الى اللقاء اذن . ولاتقلق علينا .

كان الطارق هو السيد هولوى وقد انحنى في ادب جم وبدت عليه الحيرة فسأله سبنسر :

ـ احسبك قد جئت لمقابلة السيدة لورين شيرمان .. أليس كذلك ؟.

ولمح كاسي الشراب .. كما رأى صحيفة « دانبرى» فقال :

ـ ماقولك في ذلك المقال ؟.

ـ لم أنته من قراءته بعد .

ـ تستطيع ان تستمتع بالقـــراءة .. فلم أحضر لازعاجك .. ويكفيني ان تأذن لي بأن ألقي نظرة سريعة على غرفة الآنـــسة شيرمان وربما سمحت لنفسي بأن اطوف بالبيت .. ان لم يكن لديك مانع.. ولكن ارجوك .. لاتهتم بي .

لابد أنه وزوجته .. يعيشان حياة هادئة . ولا شك في أنهـــا تغزل له قفازيه وجواربه .. وشملته ايضا . فهل ياترى .. تعقـــد له رباط رقبته أيضا كل صباح ؟.

ـ هل لك في كأس من الشراب ؟.

ـ ليس الآن ..

وكان يعرف طريقه . أما آشبي فقد ظل في مقعده ذي المسندين ومضى يتابع قراءة الصحيفة دون أن يتذكر أين توقف ..

« وفي وقت ما ظن الشرطة انهم عثروا على خيط يدلهم على مرتكب الحادث . فقد تطوع ساقي « الكوخ الصغير » وهو ناد ليلي يقع على طريق هارتفورد بان يشهد بانه راى فتى وفتاة يتوقفان امام ناديه ليلة الحادث حوالى منتصف الليل .. وكان منظرهما جاذبا للأنظار .

ـ « وكانت الفتاة تقارب الأوصاف التي نشرت عن بيل ..عصبية المزاج قليلا ربما بسبب افراطها في الشراب ، وكان رفيقها ـ وهو في نحو الثلاثين ـ يحدثها بصوت منخفض انما في حدة والحاف كانما يحاول ان يدفعها لعمل ما .

« ولكنها ظلت تهز راسها سلبا » تلك كانت أقوال الساقي حرفيا ، وكان يبدو عليها الخوف الشديد من شيء مجهول حتى لقد اوشكت ان أتدخل في الامر لأني اكره رؤية الرجال وهم يتحدثون مع السيدات على هذا النحو ، حتى ولو كان ذلك في منتصف الليل وفي ناد ليـــلي على الطريق . وحتى لو كانت قد احتست كثيرا من الشراب ..

س : أتعني انها كانت ثملة ؟.

ج : حسنا .. لم يكن في وسعها ان تشرب اكثر .

س : وهل شربا شيئا امامك ؟.

ج : لقد جلسا امام البار .. واتذكر انه ـ كان يلف ذراعه حول خصرها وكأنه يساعدها على السير ، أو ربما ليمنعها من الانصراف. وكان يريد أن يطلب جعة .. فقالت له شيئا في صوت لم اسمعه.. وتناقشا .. واذ كنت قد اعتدت ذلك ، ابتعدت عنهما قليلا حتى استدعياني .. وطلبا كأسين من الكوكتيل ..

س : وهل شربت كأسها ؟.

ـ لقد انسكب كأسها قبل ان يصلّ الى فمهـــا .. ولم تهتم بتنظيف ثوبها رغم أن الشاب قدم لها منديله .. فرفضته .. وبعد ذلك انتزعت كأسه من بين أصابعه ، ثم افرغته في جوفها . وكان يبدو عليه الانزعاج ، ولم يكف عن التطلع الى ساعة الحائط وهو

يميلّ عليها .. واعتقد انه كان يريد الانصراف »
ورفع آشبى راسه .. كان السيد هولوى القصير يقف فى الردهة وينظر حواليه . بنفس الطريقة التى تتفحص بها طابقا قد استأجرته توا ، وانت تفكر اين تضع الاثاث .. ولم يكن منتبها لسبنسر .. كان عقله فى واد آخر . وانطلق الى باب العربين ،وقف هناك لحظة دون أن يهبط على الدرج ، ثم هز راسه .. وذهب الى الباب الامامى ..
لقد كان مستغرقا فى أفكاره .. يمشى كالمسحور .. مما حمل آشبى على ان يجمع ساقيه حتى لا يتعثر فيهما الشرطى الذى قال فى شرود :
ـ شكرا ..
وبدا آشبى يقرأ سطورا اخرى ..
« ولكن ماكاد الساقى يرى الثياب التى كانت ترتديها بيل شيرمان فى تلك الليلة حتى نفى بكل تاكيد أنها ثياب الفتاة التى رآها فى ناديه .. والتى كانت ترتدى معطفا خفيفا من الصوف له بنيقة من الفراء ، فوق ثوب حريرى أسود أو ازرق داكن الزرقة .. »
« وقد دلت التحريات على ان القتيلة لم تملك بتاتا معطفا بنفس الاوصاف » .

ولا يدرى سبنسر لماذا أعاد قراءة ذلك المقال مرات ومرات عن نادى « الكوخ الصغير » بالرغم من انه لم يلق ضوءا جديدا على ذلك الغموض الشديد يستفيد منه المحققون .. أما بالنسبة اليه ؟ هل اضافت شيئا جديدا الى الصورة التى كان يتخيلها فى ذهنه عن «بيل» ؟ وسواء أكانت فتاة المشرب .. هى بيل .. ام فتاة اخرى فى مثل سنها .. فهما صنوان لهما نفس الظروف فى دنيا لم يكن آشبى يعرف منها الا القليل النادر نظريا فقط ..
ولكنه شعر وهو يهضم تلك الصورة الطريفة الحية .. كانه وسط ذلك المشرب الصاخب الضاحك .. قريب جدا من النساء اللواتى يفوح من أعطافهن العطر .. وهن يخرجن أصابع «الروج» من حقائب أيديهن ويتطلعن فى مراياها الصغيرة .. ويمررن بها على شفاههن .

ولما اخذوه ليرى الجثة .. قال:
ـ هذه ليست فتاة الامس ..
وربما كذب الساقى فى ذلك .. حتى لايتعرض لمسئولية تقديم خمور لفتاة قاصرة .. فيسحب ترخيصه .
فهناك .. عشرات من تلك المشارب متناثرة على طول الطريق وخاصة بجوار المدن الكبرى .. وهو ليذكر حين كان فى رحلة بالسيارة مع كريستين .. ان استرعت انظارهما الاضواء الملونة والاعلانات المتحركة التى تدعو المارة وقائدى السيارات وتجذبهم بشتى وسائل الدعاية والاغراء للتوقف وقضاء بعض الوقت فى المشرب او المرقص .
وفجاة سمع سبنسر صوت هولوى يقول:
ـ سوف اقبل بكل سرور .. تلك الكاس التى عرضتها على ياسيد آشبى . اتسمح لى بالجلوس ؟.
وكان قد جلس فعلا .. ودس عويناته فى جرابها .. ثم وضع الجراب فى جيبه .
ـ لاشك فى انك اكثر الناس اهتماما بان ننجح فى القبض على ذلك الجانى الاثيم . ولكنى اخشى ان يطول بك الوقت فى الانتظار !. ولا اخفى عنك اننا كلما تعمقنا فى البحث .. ازداد شرودنا وضعنا فى معالم التيه !.
اترغب فى ان تعلم .. ما اعتقده شخصيا ؟ سوف يحدث ما يحدث دائما فى مثل تلك القضايا .. فبعد خمس سنوات أوربما عشر .. سنجد فتاة قتيلة فى مثل هذه الظروف .. باختلاف ان القاتل لن يساعده الحظ فيخفى آثاره مثلما فعل الآن ... وعندئذ .. بشىء من المقارنة والاستنباط .. سنعرف انه هو نفس القاتل الذى صرع « بيل شيرمان » .
ـ اتعتقد انه سيكرر جريمته ؟.
ـ عاجلا او آجلا .. حينما تواتيه الظروف مرة اخرى ..
ـ وبفرض ان شيئا من ذلك لم يحدث ؟.
ـ لابد انه سيسعى لذلك حتما مادام قد افلت مرة .. وذلك امر يؤسف له حقا فالدنيا مليئة بفتيات كثيرات من امثال بيل شيرمان .

وقال آشبي .. وهو يشـــعر بمزيد من عدم الارتياح :
ـ سوف تصل والدتها في اية لحظة .
ـ اعرف هذا . ومع ذلك فانها لا تستطيع ان تعرف عشرات الناس من عشاق ابنتها ..
واحمر وجه آشبي في هذه المرة ..
ـ أواثق انت ؟.
ـ ماكاد رجال المباحث يصلون .. حتى بدات الالسنة تفك من عقالهـا ..
ـ وهل كانت امها تعلم ؟.
هل ياترى .. للسيد هولوى اولاد ؟ ابنة ؟ انه يتحدث بـلا اكتراث وهو يخوض في سيرة بيل المسكينة كأنمايشق قالبا من الزبد الجميل بسكين حادة !.
انهم دائما يقولون نفس الشيء .. يتظاهرون بالدهشة العميقة والاستنكار الشديد .. لم تكن تعلم أو تتصور !.
ـ وهل تعتقد انهم يكذبون ؟.
ولم تتح لآشبي فرصة الحصول على اجابة من رئيس الشرطة المحلية ، فقد فتح الباب الامامي بعنف على مصراعيه واندفعت لورين شيرمان كالصاروخ حتى كادت ان تطا السيد هواوى القصير تحت قدميها ، وكان قد استوى واقفا .. ثم تبعتها كريستين وكانت تحمل بين ذراعيها مجموعة من اللفافات .
وغمغم آشبي يقول :
ـ السيد هولوى .. رئيس الشرطة المحلية ..
ـ لقد حضرت لتوى من لدن قاضي تحقيقكم .. واحسب في ذلك الكفاية !.
كانت كالقاطرة البخارية .. تنفث نارا .. ولا تريد من احـد ان يقف في طريقها .
وقال الشرطي :
ـ ليس في نيتي أن أضايق السيدة شيرمان .. في الحقيقة لقد كنت أهم بالانصراف .
وانحنى للسيدتين .. ومد يده الى آشبي وهو يقول :
ـ تذكر ما قلته لك !.

وتوقف فى المشى .. لينظر الى الحدادين وهم يقومون بعملهم فى استبدال الأقفال .. تحت أنوار الكهربا .. بباب آل نيشان .. وجعلته كل تلك الاحتياطات .. يبتسم .

ـ هل تعلم بأن لورين ستسافر هذا المساء ؟.

وهتف من باب الادب .. يقول :

ـ احقا ؟.

ـ لقد أصرت على ذلك منذ اللحظة التى وصلت فيها ..

ووضعت كريستين احمالها فوق منضدة المطبخ ثم فتحت الثلاجة الكهربية وأزاحت جانبا اللحم البارد والآيس كريم .

ـ لقد احتجزها ريان أكثر من ثلاثة ارباع الساعة .. ويبدو انه لم يكن كريما وهو يتحدث عن بيل .

وانطلقت لورين تقول فى ثورة :

ـ انه وغد . كلهم أوغاد . الآن فتاتى المسكينة قد قتلت ..

ووقعت عيناها على الزجاجة .. فهجمت عليها دون استئذان وملأت لنفسها كأسا .. دون ان تدرى بأنها تستعمل كأس ضابط الشرطة .

ـ كل الرجال خنازير .. تذكرى .. طالما قلت لك ذلك فى الجامعة .

ورمقت آشبى فى استنكار . وكأنه هو الذى تعنيه بحديثها هو المسئول وحده .. لا احد سواه !.

ـ وما يسمونه غراما .. ليس الا خدعة وشركا .. صدقينى .. فانا اعرف فيما اتحدث .

وافرغت الكأس فى جوفها . ثم حدجت آشبى متفرسة تتحداه فى ان يذكر حرفا فى مواجهتها .

وكانت تتحدث فى غضب وهى تقف كالتمثال الضخم الطويل فى منتصف الغرفة .. مما جعل كريستين نفسها تحملق فى وجهها

ـ لعلك تعتقدين اننى ثملة ؟.

ـ لا يا لورين .

ـ لك ان تعتقدى ماشئت بالطبع . فبعد دقائق .. ساكون مع ابنتى فى قطار نيويورك .. لن ترافقنى هذه المرة فى نفس

السيارة .. لانها ماتت .. وسنضطر لقضاء الليل فى نيويورك ..
وحينما نصل الى مدينتنا.. سوف نجدالناس جميعا وقداحتشدوا
على رصيف المحطة .. يحملقون فينا بوجوههم المقيتة .
وصمتت لحظة .. كأنها تفكر .
ـ وانى لاعجب .. هل سيكون ابوها فى انتظارنا ايضا ؟.
وكانت الكراهية تقطر من عينيها وهى تقول ذلك .
ـ متى سيتحرك القطار ؟.
ـ فى التاسعة والدقيقة الثالثة والعشرين .. امامك فرصة طيبة لتناول العشاء معنا .. ولتستريحى قليلا .
ـ لست فى حاجة للراحة ..

وكشرت عن انيابها وهى تعيد التحديق فى آشبى .. وتقول:
ـ وماذا اصنع فى هذا البيت .. ولماذا انا هنا على اية حال ؟.

ـ لماذا تقولين ذلك يالورين ؟.
ـ لانى أدرك ماأقول .. لست احب زوجك .
وحاول ان يبتسم متأدبا .. وبدأ يتحرك نحو باب غرفته .
ـ انا اعرف انه غشاش لئيم .. لا أكاد اتحدث عنه حتى يولى هاربا .

ولابد ان كريستين كانت تعيش على أعصابها فى تلك اللحظة ، ولم تكن الفرصة مواتية لاى مشادة كلامية . وقد تكون لورين معذورة . لقد فقدت ابنتها منذ قليل ، وذلك أمر لايمكن أن ينساه الانسان سريعا ، وقد اثرت فى أعصابها رحلتها الطويلة من اوربا.. وزاد الطين بلة ماقاسته على يدى ريان ..

ثم .. لقد وقع حادث مصرع ابنتها بين جدران بيتهما .. ولعلهما مسئولان عن وفاتها .. فقد كانت فى رعايتهما .

ولكن .. لماذا أردفت .. وكأنها تقذفه بحجر فى ظهره ، حينما أغلق باب غرفته عليه ؟

ـ هذا النوع من الرجال هو اخسهم جميعا !.

القسم الثاني

الفصل الأول

وبدأ يضيق بالحياة .. فقد كان الموقف يزداد بمضى الوقت سوءا .. وخاصة بينه وبين زوجته ، وذلك القناع الذى يرتديه كلاهما بدأ يشف حتى أوشك ان يذوب ويفصح عن الحقيقة المرة ، المؤلمة للزوجين معا .. وفى الوقت نفسه بدأ حاجز سميك ينمو رويدا رويدا بينهما !.

فهو يحبس نفسه أكثر اليوم فى غرفته او عرينه .. حتى اذا احس بأنها خرجت للسوق .. تسلل من مخبئه وكانه حيوان يخشى الناس ويترقب خلو المكان حتى لايقتلوه !.

لم يكن يدرى على وجه التحديد .. من أين ستوجه اليه الضربة القادمة .

ولذلك كان يفضل ان يمكث فى غرفة الاستقبال كلما انفرد بنفسه .. حتى تظل عيناه مثبتتين على الباب حينا .. وعلى الممشى الموصل للبيت .. حينا آخر .

وقد اعد مقعده بحيث يجاور المدفاة .. ووضع اكواما من الوقود والاخشاب بجانبها .. وكأنما قد أصيب بحساسية مفاجئة للبرد .. فاذا ما سمع صوت سيارتها تقترب ، انطلق الى النافذة واختفى خلفها بحيث يرى ولا يرى ، حتى يقرأ تعبيرات وجهها .. قبل ان يتاح لها ان تتكلف البشاشة والبشر امامه ..

ولم تكن هى نفسها تجهل انه يراقبها .. فكانت تتظاهر بأن الأمور تسير بطبيعتها ؛ فتغادر سيارتها .. وتصعد فى الدرج بخطوات خفيفة مرحة .. وما تكاد تفتح الباب حتى تتظاهر بالدهشة لمرآه فى ذلك المكان .. ثم تقول ضاحكة :

ـ هل حضر احد لزيارتنا ؟.

واللعبة لها قواعدها .. قد درسها كل منهما بحيث حفظ خطواتها ، وراح كل منهما يجتهد فى اضافة بعض التحسينات اليها .

ـ لا احد .
ـ ولا اى مكالمات تليفونية ؟.
ـ ولا مكالمة واحدة !.
وكان يثق فى اعماقه بانها انما تحاول بتلك المقدمات ان تخفى ارتباكها .. وان تملأ الصمت والفراغ المقيت الى نفسها ، فلم تكن بطبيعتها تميل الى القاء مثل هذه الأسئلة السخيفة .
واذا لم يكن لديه ما يعمله .. فانه يتبعها الى المطبخ وينظر اليها وهى تضع المؤن فى الثلاجة . ويتفرس فى وجهها لعله يكشف شيئا جديدا ، وفى النهاية يسألها وهو يتطلع بعيدا عنها :
ـ ومن قابلت ؟.
ـ فى الحقيقة .. لا احد .
ـ كيف ذلك ؟ هل يخلو متجر الخضر من الناس فى العاشرة صباحا ؟.
ـ اعنى لا احد على وجه الخصوص . اما الباقون فلم اهتم بملاحظاتهم .
ـ اذن فلم تتحدثى الى احد ؟.
كان سؤالا ذا حدين .. وهى تعرف ذلك ، وهو ايضا يعرف ذلك ، فلو اعترفت بانها لم تتحدث مع اى مخلوق .. كان معنى ذلك انها تشعر بالعار والخجل من الناس . او انهم كانوا يتحاشون مخاطبتها . ولو قالت انها خاطبت انسانا .. سألها لماذا لم تصارحه بذلك على الفور ..
ـ اوه .. اجل .. لقد قابلت لوسيل رونى .. اخبرتنى بأن زوجها سيعود فى الاسبوع القادم ..
ـ واين هو ؟.
ـ ولكنك تعلم هذا تماما ، انه فى شيكاغو .. هل نسيت ؟.
ـ الم تذكر لك شيئا آخر ؟.
ـ لم تقل سوى انها سعيدة لعودته .. وانها لن تتركه يسافر وحده بعد ذلك .
ـ الم تذكر شيئا عنى ؟.
ـ نعم . لم تذكر .

ـ أهذا كل شيء ؟.

ـ وقابلت السيدة سكاربورو .. ولكنى اكتفيت بأن الوح لها بيدى من بعيد .

ـ لماذا ؟ أكانت مشغولة ؟.

ـ لا .. كانت تقف فى الجانب البعيد من المتجر ، ولم أشأ أن أفقد دورى فى الصف أمام الخزانة .

ولم تفقد هدوءها قط ، أو تبدى امتعاضا أو نفاد صبر .. وبلغ به الأمر ذات مرة أنه كان يستاء من برودها وقوة أعصابها . ترى هل كانت تعامله كأنه مريض ؟ أم تراها على علم بما يدبرونه له فى الخفـــاء ؟.

ولم يبدأ فى الارتياب الجدى الا صباح السبت ..

كانت قد عادت لتوها من السوق . .وكان الطريق زلقا ... ولذلك وقف أمام النافذة .. وفى نيته أن يهرع لمساعدتها فى حمل المؤن .. وحينمــا أغلقت باب سيارتها .. دون أن تراه .. وقعت عيناها على نقطة معينة بجوار الباب الأمامى .. وساوره شعور بأنها رأت شيئا صدمها بقوة .. فقد بهتت وامتقع لونها ولبثت لحظـة قبل أن تستعيد هدوءها .

واذ رفعت عينيها .. لمحته ، وفى لمح البصر .. ارتسمت على شفتيها ابتسـامة مصطنعة .

سألها :

ـ ماهذا الذى رأيته ؟.

ـ أنا ؟.

ـ أجل .. أنت .

ـ متى ؟.

ـ من لحظة مضت .. حين كنت تتجهين الى الباب .

ـ وماذا تحسبنى رأيته ؟.

ـ هل قال لك انسان شيئا ؟.

ـ بالطبع لا .. ولكن لماذا ؟. وماذا سيقول لى ؟.

ـ لقد بدت عليك الدهشة وكأنك صعقت !.

ــ ربما كان ذلك لانى شعرت بالبرد .. وكان داخل السيارة دافئا ..

ولا شك فى انها لم تقل الصدق . فقد لاحظ أن احدى خادمات آل نيشان كانت تمر منذ لحظات فى المشى .. وحملقت فى نفس المكان من الحائط ولم يهتم عندئذ ، ظنا منه انها تنظر الى قطة ضالة .. ولكنه بدأ يفكر جديا .

وحاولت كريستين ان تمسك به .. حينما اندفع خارجا .. دون معطف او قبعة .. او حتى حذائه المطاطى .. وكاد يسقط فوق الأرض الملساء المبتلة ..

وهناك على القمة الى اليمين من الباب .. فى مكان واضح تماما رأى كلمة بالخط العريض « السفاح » مكتوبة بالقار .. كريهة مقيتة .. وكأنها اعلان عن تمثيلية فى المسرح او السينما !.

واكبر الظن .. ان الكلمة قد استرعت أنظار الخادمات ، ولا بد ان شيلا قد رأتها ايضا .. وكان زوجها قد تركها وعاد الى نيويورك بعد ان اطمأن الى متانة الاقفال والمتاريس الجديدة ، ومن العجيب حقا انه لم ير وجهها منذ ذلك الحين .. لا بجوار النافذة ولا من الباب .. وان كان قد لمح شبحها ذات مرة يختفى فى نهاية الغرفة كالطيف .

فهل حرم عليها نيشان النظر من النافذة او حتى الوقوف بجوارها ؟ وهل كان هو المقصود بالذات ؟ وهل تراه قد حدث زوجته منه ؟ .

وكان السيد هولوى قد جاء فى المساء السابق وكأنه ينتهز فرصة مروره فى تلك الناحية ليزورهما . وجلس فى غرفة الاستقبال بعض الوقت يتحدث عن الطقس وتطوراته .. وعن حادث تصادم قطارين فى ميتشجان .. دون أن يتناول الحادث الذى جاء فى الواقع من أجله ، واخيرا نهض وهو يقول :

ــ اظن انى سأقضى بعض دقائق اخرى فى غرفة الآنسة شيرمان اذا لم يكن لديكما مانع .. اخشى ان تتضايقا منى .. ايه ؟ فما زلت افكر فى احتمال اكتشاف جديد ..

ولكنه غاب طويلا .. دون أن يأتي بأية حركة . وربما ظل واقفا في مكان واحد طول الوقت .. وانطلق آشبي الى عرينه ،على حين كانت كريستين في المطبخ تكوي الثياب ..

ولم يكن قد لمس منشاره الكهربي .. منذ ان « طردته » المدرسة مع انه كان يحلم بأجازة يستطيع فيها أن يأتي بالمعجزات في فن النجارة .. والآن .. وقد اتيح له الفراغ .. لم تخطر تلك الفكرة بباله .. وكل مافعله انه نظم كتبه فوق الرف واعاد ترتيب أدراج قمطره . كذلك شرع يكتب على ورقة طويلة بيضاء .. مذكرات واسماء .. وبعض العبارات المختلفة غير المفهومة .. رموزا لايفهمها غيره .

وكان قد ملأ عدة وريقات فعلا .. مزق بعضها .. واحتفظ بالباقي ، عندما سمع طرقا على الباب .. فهتف بالطارق : ادخل .

كان يعلم أنه السيد هولوى .. وانه لابد سيلقاه مرة أخرى .. فأعد له شرابا .

قال له :

ــ اجلس .. ظننتك قد انصرفت قبل أن تودعني .

وصب الشراب .. ووضع الثلج .. ونظر الى العجوز القصير لانه لايدرى مقدار الصودا التي يحب اضافتها الى كأسه ..

ــ شكرا .. هذا يكفي .. في الواقع ان جلستك ممتعة .

واضطجع السيد هولوى في المقعد الجلدى الوثير .. وكأسه في يده .. ومد ساقيه امامه .. وكأنه في فراشه . وقال :

ــ ثمة شيء كان يحيرني منذ البداية . واحسبني قلت لك من قبل انا قد لا نصل ابدا الى ما يكشف لنا غموض القضية .. ولكني اليوم اقل تشاؤما من امس . فقد استطعت ان ارى قبسا . وما زالت تلك الغرفة توحي لنا بأفكار جديدة ..

واخرج شيئا صغيرا من جيبه .. ووضعه على المنضدة امام آشبي .. دون ان ينظر اليه او الى اشبي . بل مضى يتأمل السائل الثلجي في كأسه ..

وكان ذلك الشيء .. أحد المفاتيح الثلاثة للباب الأمامى ..
وغمغم الشرطى يقول :
ـ مفتاحك معك أليس كذلك ؟ .. وزوجتك تحتفظ بمفتاحها ..
وكان مع بيل شيرمان مفتاح .. اذن فهو مفتاحها الذى عثرت عليه توا ..
ولم يهتز لآشبى هدب . ولماذا يفعل ؟ ليس ثمة مايخفيه .. أو يخشاه . وكل ما أزعجه فى الواقع هو اصرار هولوى على تجنب النظر اليه .
فهل قد اضاف العثور على المفتاح مزيدا من الشك فى امره ؟.
ـ أتعرف أين عثرت عليه ؟.
ـ لم تقل سوى أنك وجدته فى غرفتها ..
ـ ظننت انى بحثت فى كل مكان .. خلال المرات التى حضرت فيها اليكم ، والمفروض ان الاخصائيين وكذا الضابط آفريل ورجاله قد فحصوا المكان ونبشوه بدقة .. ولم يتركوا حجرا الا قلبوه ! ومع ذلك . فقد وجدت نفسى وانا أجلس وسط الغرفة .. احملق فجأة فى حقيبة يد سوداء كانت محشورة وسط بعض الكتب فوق الرف فهل تعرفها ؟.
ـ أجل . اعرفها . كان لبيل حقيبتان .. تلك التى على شكل صندوق .. والتى كانت تحملها فى المناسبات .. وحقيبة جلدية عادية للاستعمال اليومى .
ـ حسنا .. كان المفتاح فى الحقيبة السوداء ..
وفكر آشبى .. فيما قررته السيدة نيشان .. وحدس هولوى فيما يفكر صاحبنا ... ولعله كل يقصدها حينما قال :
ـ غريب .. أليس كذلك ؟.
فقال آشبى :
ـ لاتنس انها لم تزعم أبدا انها رأت الشيء الذى ناولته بيل للرجل المجهول ، واذا كانت ذاكرتى قوية .. فقد قالت أنها تظن ذلك الشيء مفتاحا .. بل انها لم تقل انها بيل بالذات .. مجرد يد امتدت من فتحة الباب .

ـ اعرف ذلك .. ولكن الثابت انه لم يكن فى الدار فتيات سوى بيل . واذن من المؤكد ان ما اعطته بيل ذلك الرجل لم يكن المفتاح .. وبهذه المناسبة .. هل تذكر نوع الحقيبة التى كانت تحملها وقت ان عادت ذلك المساء ؟.

واجاب صادقا بالنفى . لم يكن يعرف . رغم ادراكه ان الامر بالغ الاهمية .. وكان فى وسعه أن يكذب . وكان يشعر تماما ان لهجة السيد هولوى .. قد شابها بعض الغموض اخيرا .

ـ اواثق انت من انك لم تفتح لها الباب حوالى منتصف العاشرة حين عادت فرضا من السينما ؟.

ـ انا لم ابرح هـذه الغرفة ابدا . ولم ارها الا واقفة على الدرج ..

ـ اما كانت ترتدى معطفها وقبعتها الرخوة « البيريه » ؟.. اذن فلا بد أنها كانت تحمل حقيبة .

ـ هذا محتمل .

ـ ولما كنت قد عثرت على حقيبة أخرى فى مكان ظـاهر على المنضدة فى غرفتها .. اعتقدنا جميعا انها الحقيبة التى كانت تحملها . ولما لم نجد بها المفتاح الثالث .. آمنا بقصة السيد نيشان وصدقناها . وكان بحثنا منذ تلك اللحظة قائما على نظرية خاطئة .

ـ اما الآن ..؟

هناك ثغرة فى مكان ما .. صدقنى يامستر آشبى .. انه موضوع مقيت الى نفسى .. وطالما تمنيت من اعماقى عدم حدوثه . ووددت لو لم اعثر على هذا المفتاح . ولست ادرى الى اين يقودنا ولكنى اتوقع انه سيثير لغطا كبيرا ويرتب الناس عليه نتائج كثيرة . فما دمنا قد عثرنا على المفتاح فى البيت .. فلا احد اذن غير بيل قد ادخل القاتل .

وهل يختلف هذا .. عن النظرية الاولى التى تقول انها اعطته المفتاح من فرجة الباب ؟.

ـ اننى افهم وجهة نظرك ... ولكن النـاس سيفهمون ذلك بطريقة اخرى .

واخيرا .. انصرف هولوى وهو يبدى مزيدا من انزعاجه وعدم ارتياحه .

حدث كل ذلك مساء الجمعة .. ولابد ان كلمة « السفاح » قد كتبت فى نفس تلك الليلة .. وبعبارة اخرى .. قبـــل ان تنشر الصحف شيئا عن المفتاح . ولم يكن ذلك عبث اطفال . فان الذى يحمل صفيحة من القار وفرشاة ويخرج فى الزمهرير القارس .. ويسير على قدميه تلك المسافة لا بد ان يكون رجلا قويا .

وليت الأمر انتهى الى ذلك الحد ، فقد اقبلت مجموعة من الاطفال اعتادت ان تلعب هناك كل سبت يتزحلقون على الجليد فوق سفح المشى لانه اكثر انحدارا من الطريق الآخر واشد امانا لبعــده عن حركة المرور . ولا بد انهم قرءوا الكلمة . فقــد ظلوا يحملقون فى الجدار فاغرى الافــواه .. وهم يتهامسون كأنهم يتبــادلون سرا خطيرا .

ولم يشأ آشبى ان يغير من عادته بأى حال .. فحين كان يضطر فى الأيام العادية الى المكث فى البيت بسبب برد طارىء كان يجــر قدميه من مكانه بجوار المدفأة .. ويذهب الى غرفته .. وهــو الآن .. يفعل نفس الشيء . غليونه فى فمه .. وقدماه فى الخف .

وحانت منــه نظرة .. ثلاث او اربع مرات .. الى النافذة .. فاذا به يرى فى كل مرة وجه طفل ملتصقا بزجاج النافذة الذى يعلوه الضباب .. ربما بدافع الفضول والرغبــة فى رؤية وجه « السفاح » .

ولم يحاول مطاردتهم .. لاهو ولا كريستين التى كانت قــد لاحظت مناوراتهم .. كانت تعلم مثله ان من الخير ان يتركا الامور تسير بطبيعتها وكأن شيئا لم يحدث . ليس مع الآخرين .. بل مع نفسها ومعه ايضا . فقد كانت تخرج كل يوم تقريبا لحضــور اجتماعات مجلس القرية .. او حفلات الشاى كعادتها ..

بيد انه لاحظ اخيرا .. انها قللت كثيرا من نشاطها وبدات تلزم البيت فى اغلب الأحايين .

ــ هل قال لك احد شيئا .

ــ اننا لم نتحدث الا فى اعمال الجمعية .

ولكنه لم يصـــدقها .. لم يعد يصدقها .. ومن بين ماكتبه فى احدى الوريقات :

« ياالهى .. كريستين ايضا ؟. » .

« هل تشك .. مثل الآخرين .. فى براءتى ؟ » .

وقد انكر جميع الشبان الذين استجوبتهم الشرطة رؤيتهم بيل مساء او ليلة مصرعها .. وحسبما جاء بتقرير الصفة التشريحية فان الوفاة حدثت قبل الواحدة صباحا .. ولما كانت كريستين لم تعد الا بعد ذلك الموعد بفترة طويلة .. وآشبى لايستطيع اثبـــات مكان وجوده بالبرهان المقنع ابان تلك الفترة .. فهنا لغز الالغاز .

ومن جهة أخرى .. لم يسفر التحقيق مع جميع روادالسينما فى الحفلة المسائية عن شىء جديد ..

« وقد اعترف شابان ممن سئلوا بأنهما كانا قريبين نوعا ما الى قلب بيل شيرمان ، بيد انهما أكدا بان علاقتهما كانت عادية » .

وكتب آشبى فى الورقة عددا من الاسماء ــ وفى ظنه أنه يعرف كل الفتيان الذين اعتادوا مرافقة بيل فى الخارج ، وبعضهم كانوا من تلاميذه السابقين .. وجميعهم من أبناء أصدقائه ومعارفه ..

ومن ذا الذى قام باستجوابهم ؟ ريان بلا ريب .. وشـــاهدت كريستين مجموعة منهم ينتظرون فى القاعة الخارجية لمكتب قاضى التحقيق .. عندما انطلقت فى رفقة لورين الى لتشفيلد .

وما الذى كانت تعنيـــه تلك الصحيفة بعبارة « قـــريبين نوعا ما .. » ؟.

ومضى يفكر فى خلوته وبين جدران عرينه .. فى كل تلك الأسئلة وهو جالس الى قمطره وقلمه فى يده .. يعبث بأصابعه فى شـــعر رأسه .. كما كان يفعل وهو يعد امتحانات الاولاد .. والأجوبة .. وبين حين وآخر يضع علامة « x » امام أحد الأسماء .

كان لاغلبهم سيارات مملوكة لآبائهم ..

واذ كان من المستحيل ان يذهب أحدهم مع بيل الى ناد ليـــلى من نوع « الكوخ الصغير » حيث لاتقدم الخمر للاحداث ، فالذى يحدث غالبا .. هو أن يحصل الفتى على زجاجة من الشراب بطريقة ما ، ويوقفا السيارة فى اى جانب هادىء مظلم من الطريق .

وهذا مايحدث كل ليلة .. وكلهم يعلمون به .. والآباء ايضا .. ولكنهم يتظاهرون بالصمم والعمى ..

فهل ستفلح قضية بيل فى اثارة الآباء والأمهات ـ ممن لازالوا يثقون بمتانة اخلاق بناتهم ؟.

وكان هولوى محقا حينما قال ان القضية تزداد تعقيدا .. وتبدو اكثر سخافة وكراهة للنفس .. وكلما تقدم الزمن .. وضح بشكل أكثر ان الذى خنق بيل .. ليس غريبا عن المنطقـــة أو من المتشردين الذين يطوفون فى الطرق العامة .. فمثل هؤلاء الناس لايرتدون طاقية الاخفاء .. او يتبخرون فى الهواء ! وانما هو احد معارف بيل ـ ادخلته غرفتها برغبتها وبالتالى لا بد انه واحد من المحيط الذى تعيش فيه ..

ولذلك .. اهتم آشبى بكتابة تلك المذكرات . فحتى الآن .. لم تهتم الشرطة الا بالفتيان وصغار السن من الشـــباب ، بيد أن سبنسر كان يفكر فى الرجال المتـــزوجين . فمن المؤكد انه ليس المخلوق الوحيد الذى تصادف غياب زوجته عن الدار تلك الليلة ؟ فكثير من الازواج يعودون فى اوقات متاخرة دون ان يلحظهم احد .. طالما أنهم لا يشاركون زوجاتهم فى غرف النوم .

ولقد قال أحد الفتيان ممن اعترفوا بقضاء أوقات صبيه مع بيل قبل مصرعها بأسبوع :

ـ أنها لم تستمتع بصحبتنا كثيرا ..

ـ لماذا ؟.

ـ كانت تعتقد اننا ما زلنا صغارا غير محنكين .

ومضى يوم السبت .. واقبل الأحد وهو يوم له طابع خـاص يميزه عن بقية الأيام .

فقد كان من عادتهما ان يذهبا للكنيسة صباح كل احد . وهى متدينة جدا ولها نشاط ملحوظ فى « صـــــندوق معونة الأرامل والعجائز » .

وحين كانا يرتديان ثياب الخروج .. أحس بالحيرة والقـلق ..

ولم يعرف كيف يعبر عما يجيش بخاطره .. وكان يرمقها بتلك النظرات الغريبة التي اصبحت احدى لوازمه .. وغمغم يقول :
ـ الا توافقينني على انه من الافضل لو مكثت فى الدار ؟.
ولم تفهم غرضه فى البداية وهتفت :
ـ لماذا ؟امريض انت ؟.

ـ لا اقصد نفسى .. بل الآخرين .. ربما فضلوا الا برونى بينهم وانت تعلمين بما حدث فى كرستفيو .
واذ كانت لا تملك المشورة فى مسالة تتصل بالدين ، فقد اتصلت بالقس تليفونيا .. ويبدو ان القس نفسه كان مترددا ..
ـ ماذا قال ؟.

ـ انه لايرى سببا يمنعك من حضور الصلاة .. الا اذا ..
وعضت على شفتها وتورد وجهها ..
ـ الا اذا كنت مذنبا .. اليس كذلك !.
وهكذا اضطر للذهاب .. رغم احساسه بأن لامكان له فى الصورة .. فى هذا الأحد بالذات ..
وكان الطقس رديئا .. والثلوج تنهمر .. وقطرات الماءتتساقط من اسقف المنازل .. ورشاش الماء البارد يتناثر حول اطارات السيارات التى تمرق فى الطريق .

ووصل هو وكريستين الى مكانهما الذى اعتادا الجلوس فيه .. فى الصف الرابع الى اليسار . وكانت الصفوف الأخرى قدامتلأت بالجمهور .. ومع ذلك فقد أحس كانه يجلس فى فراغ .. الناس يبتعدون عنه خوفا من أن يلوثهم .. وشعرت كريستين بنفس الشعور ولكنها لم تقل شيئا عن ذلك .. او عن الموعظة .

وطالما تساءل ماذا كان يهدف اليه القس من الالحاف عليه فى الحضور .
ولكنه ـ وقبل ان يحضر الصلاة بفترة طويلة ـ كان يشعر بأنه منبوذ .. على الأقل بصفة مؤقتة ..
وطالما اشترك فى مئات الصلوات ايام الآحاد ، ليس بين جدران هذه الكنيسة فحسب .. بل فى معبد المدرسة ، وجميع المدارس

التى عمل فيها طالبا أو استاذا .. وطالما رفع عقيرته بالأناشيد .. ولكنه فى هذه المرة .. احس بالصوت يحتبس فى حلقه .. لم يكن يؤمن بما كانوا ينشدونه .

وجوههم جميعا كانت متجهة حقا الى الامام .. ولكنه كان واثقا من ان عيونهم قد تركزت عليه .. حتى ابصار أولئك الذين وقفوا خلفه صفوفا متراصة ، كانت نظراتهم كأنها جدار من السهام النارية تنفذ فى عنقه وتحرق ظهره ..

لماذا لايصرخون فى وجهه بالاتهام .. لماذا لايرجمونه بالحجارة؟.

وكان القس بروك يلقى موعظته :

« الشر يميت الشرير .. ومبغضو الصديق يعاقبون » ... الخطيئة تأكل قلب فاعلها وتسحقه .. حتى ولو لم يعرفه الناس، والقاتل سوف يقتل ولو بعد حين .. فالرب يمهل ولا يهمل .. أما الصديقون فليس من حق احد أن يكرههم او يكيل لهم الشتائم والاهانات والا كان جزاؤهم الجحيم .. هؤلاء الصديقون هم الابرار الذى يسعون لبيت الله لسماع كلمة الحق » .

كلهم ابرار مؤمنون .. من وقف امامه ومن وقف على يمينه ويساره .. ومن وقف خلفه ، حتى كريستين التى جلست تنصت فى خشوع .. عيناها تلمعان ووجهها مشرق بالنور ..

هل تشرق وجوههم جميعا بالنور .. لأنهم صديقون بلاخطيئة يحملون نفوسا طاهرة وضمائر نقية ؟.

هذا هو النفاق بعينه .. وانه ليعلم ذلك عن يقين ..

وما خطر ذلك بباله من قبل .. بل لم يدر بخلده ابدا أن يفكر فى مثل هذه الأمور ..

كان يحضر فى ايام الآحاد .. ويقف مثل المصلين .. يردد كالببغاء ما يقولون .. كان واحدا منهم يملأ ثغرة فى الصفوف !.

اما الآن .. فقد انتهى كل شىء .. انه الشرير الوحيد فى القرية وحوله فراغ من كل جانب !.

وكان آشبى يشعر بأن القس يقصده بكل حرف من موعظته ، وان كان قد لمس حادث الاسبوع لمسا خفيفا .. فازداد انكماشه وشعوره بالفراغ الذى يحيط به .

ولقد رأى كل ذلك فى أحلامه الليلة الســـابقة .. وأى حلم رهيب ! فى نفس هذه الكنيسة مع اختلاف فى بعض معالمها . وكان القس يلقى موعظته فى شكل نشيد جماعى يشترك فيه المصــلون جميعا .. وعيناه مسلطتان على عينى أشبى .. وأشبى يفهم معنى نظراته .. ويبادله أقسى منها وأشد صلابة .. كأنها مبارزة صامتة والقس يريد أن يقتل غريمه .. بالشرر الذى ينطلق من عينيه . على حين كان أشبى يحاول المقاومة قدر جهده حتى لا يضطر للاعتراف بأنه « الشرير » .

كانت عيناه تتكلمان وتقولان :

ـ أقسم لك غير حانث .. بأنى لم أقتلها .. ولو فعلت لاعترفت لك بإخلاص !.

لماذا يصرون على تكذيبه ؟ لماذا يكشرون عن أنيابهم كأنهم يهمون بالانقضاض عليه وافتراسه ؟.

ـ أنا لم ألق إليها انتباها .. البتة ! ســـلّ زوجتى .. إنك تصدقها على أى حـــال .. إنها قديسة لاتعرف الرياء أو الكذب ..

ولا يدرى كيف تلاشى ذلك الحلم الغريب . أكبر الظن أنه تقلب فى فراشه . فاختلطت الصور أمامه .. وعندئذ تنفس فى هدوء وبدأ يحلم بجارته شيلا .. ذات العنق الطويل الرقيع الناعم الأملس .. وحوله عقد ثمين من اللؤلؤ يتألف من أدوار عديدة ربما بلغت عشرة .. به شبه كبير لذلك الذى كانت ترتديه كليوباترا وقرأ عنه فى كتب التاريخ .. الذى يدرسه للتلاميذ .

ولم يكن فى ذلك أى ظل من الحقيقة بطبيعة الحال .. فهو لم ير السيدة نيشان أبدا تطوق عنقها بعقد .

كذلك .. كانت نهاية مشهد الكنيسة فى دنيا الحقيقة والواقع تختلف عن ذلك الذى رآه فى حلمه .

فقد غادر الكنيسة ومعـــه كريستين حينما جاء دورهمـــا فى الخروج . وصافحهما القس الذى كان يقف بالباب لتوديع المصلين كما يفعل فى كل أحد . وخيـــل إليه أن القس قد احتفظ بيـــد

كريستين مدة اطول مما يجب .. وكانت ابتسامته لاشبى باهتة قليلا ونظراته تحمل معنى خفيا .

وكانت الريح تعصف فى الخارج ، وانطلق كل الى سيارته وهم يرفعون ايديهم بالتحية لاصدقائهم . ولكن احدا لم يهتم بتحيته .

هل يذكر ذلك لكريستين ؟ انها لن تفهم احاسيسه .. فهى اقرب الى هؤلاء الناس منه .. وكانت كذلك دائما .. وانه ليحسدها على ذلك ويتمنى لو كان مثلها .

ـ هل تذهب مباشرة للدار ؟

ـ كما تشائين ..

وكان من عادتهما .. ان يطوفا حول القرية نحو ساعة .. قبل ان يعودا للغداء ، او ينطلقا لزيارة احد الاصدقاء وتناول كأس من الكوكتيل . وكانا يتلقيان تلك الدعوات بعد خروجهما من الكنيسة .. ولكن لم يعرض عليهما احد فى ذلك اليوم مثل ذلك .

ولابد ان كريستين كانت تدرك ان الدار ستكون موحشة فى تلك الساعة من النهار .. بل القرية كلها تبدو موحشة ايضا وقد انصرف الناس جميعا عنهما .. اما فى نظره هو شخصيا .. فقد كان يخامره شعور .. بأنهم قد دفنوه فى قبر بعيد جدا عن القرية .. حتى لاتزكم رائحته انوفهم .

وقال لها وهو يدير محرك سيارته .

ـ هل رايت ؟ لقد كان فى الكنيسة اكثر من عشرين فتاة من امثال « بيل » .

ولم تجبه كريستين .. وتظاهرت بأنها لم تسمع .

ـ انه ليس امرا مرجحا قابلا للشك .. بل مؤكدا .

ورغم ذلك .. ظلت كريستين صامتة ..

ـ كذلك .. كان من بينهم من استمتع بالنوم فى فراشها !.

ولم يكن فى نيته ان يخيفها او يغضبها بقدر ما شعر برغبة خبيثة فى تحطيم عنادها واخراجها من صمتها .

ـ واكاد اقسم ايضا بان قاتلها كان معنا .. يرفع عقيرته كأنه قديس !.

ولم تنظر اليـــه .. واكتفت بأن قالت له فى لهجة باردة قلمـا استعملتها معه :

ـ ارجو ان تكف عن هذا ..

ـ لماذا ؟ لم اقل غير الحقيقة .. من يدريك أن القس نفســه لم ..

ـ وانا قلت لك أن تصمت .

وظل طول اليوم غاضبا من نفسه .. لأنه سمح لهـا ان تأمره فيطيع . الم يقل القس ان الخير ينتصر دائما على الشر ؟.

انه لم يؤذ مخلوقا طول حياته .. وحتى اذا كان قد حــدث ذلك .. فبنسبة تقل كثيرا عما يفعله أولئك الفتيان الذين استجوبهم ريان واطلق سراحهم .. فتيان فى الرابعة عشرة حقا .. ولكن لهم من التجارب مالم تتأت له هو شخصيا حين كان فى العشرين .

ولعله من اجل ذلك .. شعر نحوهم بالمقت وهو يسمعهم يرتلون الصلاة فى حماسة شديدة وكأنهم ملائكة .. فلماذا اذن يتظـاهرون بالنقاء والطهارة ؟.

وكان اسوأ ايام الآحاد التى مرت بهما .. لم يدعوا أحدا من الأصدقاء .. ولم يدعهما احد الى بيته بخلاف ما كان يحــدث دواما .

ورغم ان دارهما كانت فى نهاية طريق مسدود ، فقد استمرت السيارات تترى حتى بابهما وكان اصحابها قد ضلوا الطريق .. وما جاءوا الا ليلقوا نظرة استطلاع نحو البيت الذى قتلت فيه بيل شيرمان ... وليشــاهدوا ماذا يفعـلان ... وليحملقوا فى وجه آشبى ..

وحدث شيء مضحك .. لم يكن ذا اهميــة .. ومع ذلك فالله وحده يعلم كيف كان تأثيره على أعصاب آشبى .

كان ذلك حوالى الثالثة أو منتصف الرابعة . وكان قد نهض ليأتى بوعاء الطباق من فوق رف المدفأة . حين دق جرس التليفون. واسرع الاثنان اليه معا .. وفى وقت واحد . ولكنه سبقها بثانية واحدة ورفع المسماع وقال :

ـ هالو . . !

وكان لديه احساس اكيد بأن شخصا فى الطرف الآخر . . بل لقد سمع انفاسه تتردد خلال مكبر المسماع . .

ـ هالو . . انا سبنسر اشبى .

وكانت كريستين قد عادت لمقعدها لتستأنف حياكتها وقال مرة اخرى :

ـ هالو . .

ولم ينبس الرجل الآخر ببنت شفة . فأعاد المسماع مكانه وقد اربد وجهه . .

وقالت فى لهجة رقيقة مهدئة . . وهى تراه متجهما . . لتخفف عنه . .

ـ لقد اخطأ الرقم . . لاشك فى ذلك .

وأومأ براسه . . وتظاهر بتصديقها . .

ولم يكن ذلك حقا . . ترى من هذا العابث ؟.

ـ مادمت واقفا . . اتسمح باطفاء الأنوار ؟.

ومضى يطفىء الأنوار ، وذهب الى النافذة ليسدل الستائر المعدنية . . وكان من عادته أن يلقى نظرة الى الخارج قبل أن يغلق النافذة . .

كانت شيلا فى البيت المقابل تعزف على البيانو وقد ارتدت ثوبا من «الشيفون» الرقيق الأحمر . . وهى وحيدة فى الغرفة الواسعة التى يتناسب نورها الوردى مع لون ثوبها . وقد لفت شعرها الكستنائى حول راسها . . وبدا عنقها الأبيض طويلا .

ـ الا تنوى أن تقرأ ؟.

وامسك بصحيفة السنداى تايمز . . نظر فيها . . ثم ما لبث أن القاها وانطلق الى غرفته . .

وجلس امام قمطره . . وكتب على ورقة بالقلم الرصاص :

ـ ترى ما الذى يشغل تفكيرى ؟.

ومضى الوقت ثقيلا بطيئا . . مثل قطرات الماء التى كانت تتساقط من السقف . . ثم كان العشاء . وصوت غسيل الصحون فى

الحوض .. والمقعد الوثير بجوار المدفأة .. واخيرا انطفأت كل انوار البيت .

ثم يبدأ يوم آخر جديد ..

ويبدأ يعتاد اختلاس النظر عبر النافذة .. حينما يثق في أن كريستين في شغل عنه .. وكانت هي الأخرى تشيح بوجهها حتى لايعرف انها فهمت .

الفصل الثاني

ظلت المصابيح مضاءة طيلة نهار الأربعاء .. فقد كانت الغيوم الكثيفة والضباب الثقيل يحجب الشمس عن الظهور . مما حمل قائدي السيارات على ان يضيئوا انوارها الأمامية .. التي كانت تغطي بقوتها على انوار مصابيح الشوارع .

ولم يغتسل آشبي .. بل لقد فكر أن يترك ذقنه تطول تعبيرا عن احتجاجه وسخطه . أما كريستين .. فكانت حين تراه يجول في البيت بلا هدف .. تشعر بحالته الذهنية .. وتمضي في أعمالها المنزلية في صمت وتمشي على اطراف أصابعها حتى لاتثيره .

وسألها :

ــ متى تذهبين لشراء حاجياتك ؟.

ولم يكن يهتم بذلك من قبل .

ــ لن أحتاج لشيء اليوم . لقد ابتعت أمس كل ما يلزمنا لمدة يومين ..

ــ الن تخرجي ؟.

ــ ليس في هذا الصباح . لماذا ؟.

وفي تلك اللحظة قرر أن يغتسل ويرتدي ملابسه . ثم انطلق الى غرفته ليكتب بعض الأسماء في وريقاته . بيد أنه ما كاد يعود الى غرفة الاستقبال حتى دق جرس التليفون .

ورفع السماع .. وهو يعلم بأن الذي حدث سوف يتكرر .. فقال في هدوء وبصوت طبيعي ..

ــ أنا آشبي !.

ووقف ساكنا .. دون أن يسمع اجابة . وكانت كريستين تنظر اليه صامتة .. ولم يشأ ان يظهر لها انزعاجه ، رغم ان دمه كان يغلى فى عروقه ـ ياللسماء !. هذا افظع من طبـــع كلمة السفاح على الجدار من الخارج ..

ووضع المسماع وقال ساخرا :

ـ يبدو ان رجال الشرطة يتاكدون من وجودى .. خشــــية هربى .

قال ذلك حتى يطمئن كريستين ..

ـ اتعتقد أنهم يستعملون مثل هذه الأساليب ؟.

وشدما دهش حينما سمع نفسه يقول فى صوت عميق حاد :

ـ اذن .. فلا بد انه القاتل !.

وكان يؤمن بما يقوله فى هذه المرة .. ولم يكن ثمة دليـــل أو برهان . ولكن هل يستبعد قيام صلة بينه وبين الرجل الذى قتل بيل ؟ ان القاتل يعرف آشبى .. ولا ريب فى ذلك . وكان يراقبه .. وما زال حتى الآن يراقبه .. وربما كان الشر يسحق ضـميره فى تلك اللحظة .. ولولا خشية افتضاحه لقال له فى التليفون:

ـ انا الرجل الذى تبحثون عنه !.

وذهب سبنسر الى الصوان وارتدى معطفه وقبعته . ثم جلس على المقعد ليرتدى حذاءه الطويل .

ـ أتذهب بالسيارة ؟.

ولم تشأ أن تساله الى اين هو ذاهب. وانما ستعرف من اجابته المسافة التى سيقطعها .

ـ لا .. لن اذهب الى أبعد من مكتب البريد .

ولم يكن قد زار مكتب البريد منذ حادث بيـــل الا مرتين .. واعتادت زوجته فى بقية الأيام أن تمر به كلما انطلقت للسوق لشراء الطعام . وتحضر له الخطابات والصحف فى نفس الوقت ..

ـ اتحب ان ارافقك ؟.

ـ لا .

ورات ان من الخير أن تتركه لشأنه . ومن العبث ان تثنيه عن عزمه .
وتريث لحظة ليحشو غليونه بالطباق ، وليرتدى قفازه .. وهو لا يحول بصره عن نافذة شيلا نيشان . ولكنه لم ير احدا . ربما كانت تتناول افطارها فى فراشها ..
وهبط من التل.ثم انحدر يمينا فى الطريق الرئيسى..وتوقف برهة امام واجهة متجر لبيع الادوات الكهربية .. يتطلع من خلال الزجاج الى معروضاته .. ثم استأنف سيره الى مكتب البريد بعد ان نظر فى ساعته وتأكد انه لم تمض الا دقائق على وصول دفعة الصباح من الخطابات .

وذلك يعنى انه سيجد هناك أكثر من خمسة عشر رجلا من صفوة المجتمع ممن يتوقعون دائما خطابات هامة ويحضرون بأنفسهم لتسلمها ومن عادتهم ان يقطعوا الوقت فى الحديث ريثما ينتهى الموظفان من ترتيب الرسائل فى صناديق التوزيع المختلفة .

كان يشعر منذ الصباح الباكر بأن شيئا كريها سوف يحدث، وحتى لا يتعذب فى انتظار البلاء ، مضى يستعجله بنفسه ولذلك انطلق الى مكتب البريد ..
ولم يكن يدرى ما كنه ذلك الشىء أو كيف سيحدث . بيد أن ذلك كله كان قليل الأهمية بالنسبة اليه مادام قد قرر ان يواجهه فى حزم وجراة عند الاقتضاء .

وكان سيسيل جبس ناظر مدرسة كرستيفو يأتى بنفسه كل صباح ليتسلم بريد المدرسة ، وأدرك آشبى من رؤيته للسيارات الواقفة عند المنحنى بانه موجود . فمن السهل على كل انسان أن يتعرف على سيارات القرية واصحابها .
وارتقى سبنسر الدرجات القليلة ، ثم دفع الباب فوقعت عيناه مباشرة على وستون فوجان وكان يتحدث مع اثنين احدهما السيد جبس ذاته .. والثانى احد ملاك المزارع القريبة .

وكان الود مفقودا بينه وبين وستون ، ابن عم كريستين ـ اذ إنه لم يستطع ان ينسى ما اصابه بسبب زواج سبنسر من ابنة ،

عمه بعد أن كانوا يعتبرونها عانس الاسرة الثرية التى ترعاهم جميعا بمالها .. وتؤول اليهم ثروتها بعد وفاتها .

على ان كل ذلك لم يكن له اهمية فى تلك اللحظة . كل ما كان يدور فى رأس سبنسر وقتئذ ان ماتوقعه سيحدث فورا .. فانطلق بخطوات متئدة .. ونظراته مستقيمة للأمام . فى تحد ساقر ومد يده الى فوجان .

وكان وستون .. ذا حيثية ومكانة .. ليس لانه محام فحسب بل لانه من محترفى السياسة . وايضا لما اشتهر عنه من سلاطة اللسان ..

وبدا كأن وستون قد اعمل فكره فى سرعة وهو يرى اليد الممدودة اليه واخيرا عقد ذراعيه فوق صدره وقال فى صوت حاد مرتفع حتى يسمعه من فى الركن البعيد من مكتب البريد .

ـ اسمح لى ياسيد سبنسر اشبى بأن اعبر لك عن عجزى عن ادراك هدفك . انا اعلم ان قانوننا ينص على أن الانسان برىء حتى تثبت ادانته .. ولكنى وفى نفس الوقت لا استطيع ان اسد اذنى او اغمض عينى .. عما يتردد على السنة الناس .

كان قد أعد خطابته .. وبما منذ بضعة ايام . متأهبا لأول لقاء له مع أشبى .. وها هى ذى الفرصة قد حانت له اخيرا . فمضى يضغط على الحروف وكأنه فى ساحة المحكمة ..

ـ انت ما تزال مطلق السراح . واهنئك على ذلك . ولكن .. هلا وضعت نفسك مكاننا ؟ هب ان احتمال ادانتك لا يزيد على عشرة فى المائة . .الا ترى انك تدفعنا للمخاطرة بكرامتنا ـ معهذه النسبة الضئيلة .. فنصافح قاتلا لم تمتد اليه يد العدالة بعد ؟ والمواطن الصالح يأنف من وضع أصدقائه فى مثل هذا الحرج ، ويعمل على عدم اثارة موضوعه بظهوره امام الجمهور .. بل ينبغى عليه ان ينكمش حول نفسه بقدر استطاعته .. وينتظر .. هذا كل ما استطيع ان اقوله لك .

واخرج علبة سجائره . وفتحها واخذ منها سيجارة ثم دق طرفها على ظهر العلبة .. ولم يتحرك أشبى رغم أنه أطول قامة من

فوجان واخف حركة .. وما أن مضت الثوانى الأولى . والتى تحمل الخطر .. بسلام دون ان يحـــدث شيء ... حتى تراجع فوجان الى الوراء وكانه يعد الموضوع منتهيا ..

وعلى عكس ما توقع الحاضرون .. لم ينقض سبنسر عليه ، ولم يلكمه او حتى يرفع يده ليصفعه . وربما كان من بينهم من كان يشعر نحوه خفية بالحزن . ويشاركه فى شعوره بالغضب .

وكانت انفاسه تتردد بقوة وشفتاه ترتعدان .. ولكنه لم يخفض عينيه . بل مضى ينظر فيهم جميعا . مبتدئا بابن عم زوجته .. واعاد النظر اليه أكثر من مرة .. وكذلك نظر الى السيد جبس الذى تظاهر بانه مشغول بتسلم خطاب مسجل .

اهذه هى الكارثة التى كان يتوقع حدوثها والتى جاء يبحث عنها قبل ان تبحث هى عنه ؟.

كان فى امكانه أن يجد الجواب المفحم ...

ولكن ما فائدة كل ذلك ! انهم يعلمون جميعا ان وستون فوجان كان اول من عارض زواجه بكريستين .. ولم يخف غضبه من ان تخرج اموال فوجان من يد الأسرة الى رجل غريب .. وطالما اقحم اسم اطفاله فى الموضوع مما حدا بكريستين ان تضع فى وصيتها بندا تخصص جزءا كبيرا من اموالها لتامين مستقبلهم .

وبدا سبنسر يفكر .. لماذا كانت تحرص زوجته على عدم انجاب اطفال منه . رغم مضى سنوات كثيرة على زواجهما ! انهما لم يتناقشا فى ذلك الموضوع بصراحة كافية . وكان ينزل عند ارادتها دائما . اما الآن فيبدو أن ثمة وجهة نظر أعمق مما كان يتصور .

ولم ينبس بنبت شفته .. واخرج من جيبه حزمة مفاتيحه وذهب الى صندوق خطاباته ..

لقد تصرف فى شجاعة .. حسب الخطة التى رسمها .. ومع ذلك فانه كاد يفقد هدوءه حين فتح صندوق الخطابات .. وافلتت من بين يديه بطاقة مصورة كانت آخر ما وضع فى الصندوق وسقطت على الأرض .والوجه الذى عليه الصورة الى اعلى .كانت الصورة ملونة ومرسومة باليد وتمثل مشنقة وتحتها عبارة بالحروف الكبيرة لم يتسع له الوقت لقراءتها .

وانحنى الى الارض . وهو يسمع ضحكة ساخرة ترن فى اذنيه. شخص واحد هو الذى ضحك من بين نحو خمسة عشر رجلا فى مكتب البريد .. ثم التقط البطاقة . ودون أن ينظر اليها ألقاها فى سكون فى سلة المهملات ..

ان ما حدث فى مكتب البريد ـ فى نظره ـ ليس الا اعلانا للحرب. ولقد بدءوا هم بذلك مما أراح ضميره كثيرا .

وانطلق الى المتجر الكبير .. ولم يحى احـدا .. ولابد ان الموجودين بالمتجر قد علموا بما حدث .. وابتاع طباقا ثم انصرف .

وكان تواقا لكشف سر التليفون .. وهل سيستمر ذلك المجهول فى طلبه ؟ . لقد كان يشعر شعورا عميقا بأنه كان موجودا بينهم فى مكتب البريد .. وربما ارسـل هو تلك الضحكة السـاخرة رغما عنه . وربما كان هو ايضا صاحب البطاقة .. فهل هو القاتل ايضـــــا ؟ .

وعاد الى البيت بخطوات بطيئة .. والصحف تحت ابطه .. والرسائل فى جيبه .. وسحابة من الدخان تنطلق من غليونه ..

ايحكى لها ما حدث ؟ . لا .. سيصبر حتى يعرف انعكاسات الموقف وتأثيرها عليها حين يصلها النبأ من غيره .

سيصبر حتى يعود الى غرفته .. حيث يحتفظ بسجل للصور العائلية التى تخصه،ومن بينها صورة أمه وسوف يقارنها بكريستين وربما اكتشف عنها شيئا جديدا ..

وكانت كريستين ترقب عودته من وراء الستار كما اعتاد هو أن يرقب عودتها .

ترى هل علمت فعلا بما حدث ؟ ان ذلك لا يبدو مستحيلا ، فقد كان فى استطاعة ونستون ان يتصل بها من تليفون مكتب البـريد وينبئها بما حدث .

لقد كانت فى الحق امراة طيبة ..

كانت تحبه وتبذل قصارى جهدها لاسعاده على نحو ما كانت تفعل فى الجمعيات الخيرية لاسعاد الفقراء ومساعدة المحتاجين ..

مســـالته ؛
ـ هل من جديد فى الصحف ؟ .
ـ اننى لم اقراها ..
ـ ان ربان قاضى التحقيق يريد مقابلتك .
ـ هل اتصـــل تليفونيا ؟ .
ـ لا .. ولكنه ارسل اليك هذه الدعوة (واشارت الى ورقة صفراء) مع احد رجال الشرطة . انه ينتظرك فى مكتبه فى لتشفيلد فى الساعة الرابعة .. ولقد سالت الشرطى عن سبب استدعائك ويبدو ان التحقيق لم يسفر عن اية نتيجة ، وانهم لذلك يريدون سماع الشهود من البداية ...
وازعجها ان تراه هادئا لا يبالى .
ســالته :
ـ هل تريدنى ان اذهب معك ! .
ـ لا ..
ـ متى تريد تناول غداءك ؟.
ـ وقتما تشائين .
وامضى سبنسر بعد الغداء فى مقعده الوثير بجـــانب المدفأة ؟ ووثب على صوت رنين ، ولكنه بقى فى مقعده وتناولت كريستين المسماع وانصتت وذكرت اسمها ، ثم لم تسمع شـــيئا فأعادت المسماع الى مكانه ..
سألها وهو لاهث الأنفاس :
ـ اهو ايضا ؟ .
ـ لم يتكلم .
ـ هل سمعته يتنفس .
ـ اجل ..
وصمتت لحظة ثم اردفت :
ـ اواثق من انك تريد الذهاب بمفردك ؟ .
ـ نعم ... ساذهب وحدى ..
ـ سوف ابتاع بعض ما يلزمنا من متاجر لتشفيلد ريثما تنتهى من قاضى التحقيق .
ـ وما الذى تريدين شراءه ؟.

ـ اشياء بسيطة .. خيط ازرار .. بعض اربطة المطاط .
ـ تستطيعين ان تشترى كل ذلك من هنا .
انه لا يريد ان يرافقه احد . فسوف يغادر مكتب قاضي التحقيق في الليل . ولقد مضى عليه حين من الدهر لم ير فيه مدينة . حتى ولو كانت صغيرة مثل لتشفيلد . تسطع بالانوار ليلا .
وملأ كأسه بالشراب .
ـ هل أملأ لك كأسا ؟.
ـ ليس الآن وشـــكرا ..
ولم تستطع أن تمنع نفسها من أن تضيف :

ـ لا تفرط في الشراب .. ولا تنس انك ذاهب لمقابلة ريان .
ولكنه لا يفرط في الشراب أبدا . انه يخاف من ذلك بالغريزة .
مسكينة كريستين ! كانت تتوق الى مصاحبته لتحميه .. ليس فقط لأنها تحبه وانما كذلك بدافع من واجباتها كزوجة . او ربما لانها .. بطبيعتها .. تمثل المجتمع .
هل كانت تحبه حقا .. بكل ما في الكلمة من معنى جميل ؟ انه ليشك في ذلك . فلعلها قد ألفت فقط وجوده .. كأى قطعة من اثاث البيت .. تحزن اذا فقدت او استهلكت ! .

وصب لنفسه كأسا اخرى .
ـ سبنسر !.
ونظر اليها .. متظاهرا بالدهشة وعدم الفهم ..
ـ ماذا ؟ .
ولم تجرؤ على ان تكرر تحذيرها له ، فصمتت .
ـ انظرى .. هاقد عاد ! جاء ليتأكد من أن أحدا لم يخطفها ويطير بها !.
وكان يتكلم بلهجة غريبة على اذنيها . فلم يسبق ابدا أن تحدثا عن نشان الذى كانت سيارته قد وقفت امام الدار . وحدجت كريستين زوجها فى دهشة ، وفى قلق حقيقى . وكان يدرك انه أغضبها ولكنه لم يلق اليها بالا ، وانطلق الى غرفة النوم ليمشـــط شعره قبل أن ينصرف .

ـ الى اللقاء .. وساعود فورا .

وانحنى فوقها حيث كانت جالسة تحيك . وقبل جبينها .. وعندئذ حاولت أن تلمس معصمه فى رفق باطراف اناملها مشجعة أو ربما لتبعد عنه الشر والسوء .

ـ تمهل وانت تقود السيارة .

ولم يكن فى نيته ان يفعل ذلك . وهو لا يحب اذا اراد الموت أن يموت بهذه الوسيلة .. بل انه ليشعر بالفرحة وهوينطلق وحيدا ينهب الطريق المظلم بسيارته وانوارها الامامية الساطعة تتراقص فوق قمم الأشجار ..

لم يستطع أن يبتلع غضبه لعودة نيشان المفاجئة . ولعل الرجل ينوى اطالة البقاء هذه المرة وهو الذى كان يمضى وقتا وجيزا ثم ينصرف ليغيب اسابيع .ولا يدرى لماذا لسعت نيران الغيرة قلبه حينما رآه يتمطى فى غرفة نومه . ولم تكن شيلا موجودة . ولعلها كانت فى الحمام تتعطر .. هل كان ينكر على شيلا الفاتنة الحسناء أن تكون زوجة لهذا الفيل القصير الأصلع ؟ ..

ولابد أن ريان اراد تحطيم اعصابه فانه حين وصل فى تمام الرابعة وجد قاعة الانتظار خالية ، فطرق الباب ولمح قاضى التحقيق يتحدث فى تليفون مكتبه . وفى نفس اللحظة ظهرت الآنسة مولر فى مدخل الباب تقول :

ـ هل تسمح بالانتظار برهة يا سيد آشبى ؟ .

واشارت الى مقعد فى الغرفة الخارجية . فانتظر حوالى العشرين دقيقة .لم يدخل خلالها احد مكتب القاضى أو يخرج منه ومع ذلك فحين اقبلت الآنسة مولر تستدعيه . فوجىء برجل متوسط السن قصير الشعر يجلس فى ركن الغرفة .

ولم يقم ريان بواجب التعارف بين آشبى والغريب الذى ظل جالسا فى مكانه واضعا ساقا على ساق ؛ وكان يرتدى حلة انيقة من الطراز المعروف فى نيو انجلند .وتبدو عليه تلك النظرات العميقة التى يتميز بها الأطباء النفسيون .

ولقد صح حدسه بشأن مهنة الرجل حينما تعرف به فيما بعد وعلى أية حال ما كان يختلف الوضع لو أنه لم يكشف شـــخصيته فقد كان يحفظ ما ســـيقوله عن ظهر قلب .ولذلك واجه ريان بنظرات ثابته ضايقت قاضى التحقيق .

قال القاضى

ـ اجلس يا سيد آشبى . لعلك قد سمعت بأننا قد عدنا ـ رغم مضى أسبوع فى تحقيقات مضنية ـ من حيث بدأنا ان لم تكن قد رجعنا القهقرى . ولذلك فقد قررت أن أبدأ التحقيق من جديد . ولعلنا نصل الى حلقة مفقودة لم نكشفها من قبل .

ولقد دعوناك لأنك الشاهد الأول فى هذه القضية .. وفى نفس الوقت سيقوم الشرطة باجراء تجربة زمنية مع الســـيدة نيشان ـ الشاهدة الثانية ـ ليتأكدوا من صدق ما قررته لنا .. وفى ايجاز انت ترى اننا نبذل ما فى وسعنا حتى نصل للحقيقة .

وربما اراد ريان أن يخيف آشبى بتلك المقدمة ، ولكن النتيجة كانت عكسية . فقد ضاعف ذلك الوعيد الخفى من صلابته وتركيز افكاره .

ـ وسوف اوجه اليك نفس الأسئلة .. بنفس الترتيب الذى جرى عليه التحقيق الاول . وستقوم الآنسة مولر بتدوين اجاباتك.

ولم تكن الفتاة تجلس على اريكة منخفضة فى هذه المرة . بل كانت وقتئذ امام مكتبها .

ـ أمستعدة انت . باآنسة مولر ؟ .

ـ نعم .

ـ اعتقد ان ذاكرتك قوية يا آشبى ؟ . كل الناس تعتقد أن المدرسين يتميزون بقوة الذاكرة .

ـ ذاكرتى ليست نموذجية كما تظن .. وربما لم استطع ان اعيد ما سبق ان اجبت به حرفيا ..

هل يمكن أن يقف طموح ريان عند حد ؟ سوف يتـــرقى فى الانتخابات القادمة لوظيفة رئيس محكمة ، وبعد اثنى عشر عاما ..

سوف يصبح عضوا بمجلس الشيوخ .. وربما مستشارا بالمحكمة العليا .. براتب لا يقل عن عشرين الف دولار سنويا. وسوف يستمر نجمه فى الصعود .. طالما له نفس الاصدقاء الذين يدفعونه دفعا لتخطى العقبات وقفز الدرجات ..

ـ تبين مما قررته زوجتـك لنـا ... انك لم تغادر الدار ليلة الحادث .

ـ هذا صحيح .

وسرعان ما ادرك انه يتذكر عن ظهر قلب كل ما قاله فى التحقيق السـابق .

ـ لماذا ؟.

ـ لا افهم ما تعنيه ..

ـ لماذا لم تغادر الدار ؟.

ـ لانى لم اشعر باية رغبة فى ذلك .

ـ اتصلت بك زوجتك تليفونيا .. الخ .. الخ .. هل من الضرورى ان استمر ؟.

ـ اجل . وكان جوابى عليها انى على وشك ان انتهى من عملى وساذهب الى فراشى توا .

ـ اقال ذلك حقا ؟.

واومات الآنسة مولر براسها .. وتوالت الاجوبة .. وشد ما دهش حينما وجد انه يكرر بعضها .

ـ الم تر الفتاة ؟.

ـ جاءت الى غرفتى لتحيينى تحية المساء .

وشعر آشبى .. كانه يرى حلما .. سبق ان شاهده من قبل؟ وتساءل هل ياترى ستـكون له نفس الخاتمة ؟.

ـ هل قالت لك انها ستاوى الى فراشها ؟.

واختلس نظرة نحو الرجل الغريب .. وخيل اليه انه يتفحصه فى اهتمام .

ـ لم اسمع ما قالت .

وكان عد صمت برهة وهو يجيب عن السؤالّ الاخير . وربما لانه شغل بذلك الغريب الذى لم يقم ريان بـ[illegible] تقديمه اليه .. او لعل عبارة « فراشها » قد اعادت الى ذه
ملقى على الارض ..

ـ اتشعر بتعب ؟.

ـ لا .. لماذا ؟ .

ـ يبدو كأنك متعب .. أو قلق .

وتبادل ريان مع الغريب نظرة خاطفة وكأنه يقول له :

ـ هل رأيت ؟.

ولم يتكلم « فوستر لويس » وهو اسم الغريب .. ولم يتدخل ابدا فى الحوار . وقد يكون ذلك لان وجوده ليست له الصيغة الرسمية . وآشبى وان كان لم يتعمق فى دراسة المواد القانونية الا انه يعلم ان مكتب قاضى التحقيق لا يصلح بتاتا للاختبارات النفسية وانما المكان الصحيح لذلك هو المستشفى أو العيادات النفسية . وليس فى حضور سيدة صغيرة حتى ولو كانت سكرتيرة التحقيق .

ثم .. ما حاجة ريان الى الطبيب النفسانى ؟ اتراه قد اكتشف خللا فى سلوك آشبى ؟ ام لمجرد اعتقاد قاضى التحقيق بأن مرتكب الحادث لابد ان يكون شخصا فاقد الاتزان ولذلك استعان بالطبيب ليسمع كل اجابات المشتبه فيهم ؟.

وتكررت الاسئلة القديمة ..

ـ متى كان ذلك ؟.

ـ لم اهتم بحساب الزمن .

ـ بالتقريب ؟.

ـ لست لدى اية فكرة .

ـ . . . .

ـ . . . .

ـ اكانت قد عادت توا من السينما ؟.

ـ . . . .

وكانت الأسئلة القديمة قد أوشكت على النهاية ..

ـ هل كانت ترتدى قبعتها ومعطفها ؟.

ـ اجل ..

ـ ماذا ؟.

كان قـــد اجـاب بلا تفكـير .. وأدرك انه اخطـأ فاردف معتذرا ..

ـ معذرة .. كنت اريد ان اقول انها كانت ترتدى قبعة رخوة سوداء .

ـ اواثق انت ؟.

ـ اجل ..

ـ الا تتذكر انها كانت تحمل حقيبة ؟.

ـ ......

ـ ......

ـ أكان لها رفاق من الشباب ؟ .

ـ اجل .. شبان وفتيات كثيرون وكثيرات ..

وكان يعرف ان ذلك ليس صحيحا .. فقد كان ثمة شابان .. توليهما اهتماما خاصا .

ـ فيما تفكر ؟.

ـ لاشيء .

ـ الا تعلم ان كانت تخص احـدا بحبهـا .. وتميزه بامرها عن الباقين ؟.

ـ انا ..

ـ حسنا ؟.

ـ هل اجيب نفس اجابتي السابقة ؟.

ـ بل عليك ان تقرر الحقيقة

ـ ولكنى قد قرات ماذكروه عنها فى الصحف ..

ـ اذن .. عرفت انه كان لها عشاق ؟.

ـ اجل ..

ـ وكيف كان شعورك وقتذاك ؟.

ـ انكرت ذلك ولم أصدق فى بادىء الامر ..

ـ ولماذا ؟.

ـ لانى كنت أومن بالشرف والفضيلة بين الناس ..

ـ هل افهم من ذلك انك عدلت عن ايمانك ؟.

ـ عموما . لا اظن . اما فيما يختص ببيل شيرمان .. فاعتقد نعم . الم تشعر انت بذلك ايضا ؟.

الفصـــل الثـالث

وبدا التحقيق يتخذ سبيلا جديدا خارجا عن نطاق روتين الأسئلة القديمة . وصمت ريان لحظة مفكرا وهو يرمق فوستر لويس بنظرة سريعة .. وكان هذا ما يزال قابعا فى ركن الغرفة وكان الأمر لا يعنيه .. ثم تحول القاضى الى سكرتيرته قائلا :

ـ يمكنك ان تنصرفى الآن يا آنسة مولر .. وارجو ان تعيدى كتابة التحقيق على الآلة الكاتبة .

لماذا يصر على ان يدعوها بتلك اللهجة الرسمية . كان ما بينهما لا يتعدى ماتحتمه طبيعة العمل ؟ وبأى اسم ياترى يناديها حين ينفـرد بها ؟.

كانت ذات عينين واسعتين .. وصدر عريض بارز .. وحينما مرت بآشبى حدجته بنظرة طويلة حتى غابت فى الفرقة الاخرى .. وتركت الباب مفتوحا .

وكانت اعصاب آشبى فى تمام هدوئها . فقد انطلق الى المكتب وافرغ غليونه فى منفضة الطباق تحت انف قاضى التحقيق .. ثم عاد الى مقعده . وحشا غليونه مرة اخرى . ووضع ساقا على ساق واشعله ومضى ينفث دخانه فى الهواء وكانه يستمتع برحلة جميلة فوق سطح احدى السفن ..

ـ ربما تلاحظ اننا من الآن فصاعدا لن نسجل اجابتك . هذا لان الاسئلة التى سوف اوجهها اليك .. لها صفة خاصة ولا تدخل فى نطاق التحقيق .

ويبدو أنه كان يخشى أن يجد معارضة من آشبى .. فبادره بتلك المقدمة ..

ـ هل لى ان أسالك أولا .. كيف مات والدك ؟

ولا شك فى ان ريان كان يعرف الجواب على ذلك السؤال .. وهو مثبوت فى الورق المطبوع أمامه . فلماذا يريد من آشبى ان يذكره له .. هل يقصد بذلك تسجيل انطباعاته ؟.

وحتى يريه انه قد كشف مرماه .. نظر الى لويس واجاب ..

ـ لقد انتحر والدى .. بأن اطلق الرصاص على نفسه .

بيد ان لويس ظل صامتا ساكنا ينظر دون اكتراث . أما ريان فقد بدا يومىء برأسه كما يفعل بعض المدرسين لتشجيع تلاميذهم على الاجابة .

ـ هل تعرف لماذا أقدم على ذلك ؟.

ـ ربما كان قد شبع من الدنيا ومل الحياة ... اليس كذلك ؟.

ـ اعنى .. هل كان يواجه ازمة مالية .. او بعض الظروف العائلية القاسية مثلا ؟.

ـ لقد سمعت شائعات فى محيط الاسرة .. لم اعى بتمحيصها . قالوا انه بدد ثروته الخاصة وجزءا كبيرا من ثروة أمى أيضا .

ـ يخيل الى انك كنت تحب اباك جدا ياسيد آشبى . أليس كذلك ؟.

ـ كنت لا اكاد اعرفه .

ـ الأنه كان يكثر الغياب عن المنزل ؟ .

ـ بل لأنى كنت دائما فى المدرسة الداخلية .. وقلما كنت أراه ..

وكان يتوقعهذا النوع من الاسئلة .. ولابد انهاعد اجاباتهعليها ولم يشعر بصفاء ذهنه وهدوء باله من قبل بمثل ما شعر فى هذه اللحظة .

ـ وماهى الصورة التى رسمتها فى ذهنك عن أبيك ؟.

وابتسم آشبى ..

وانت ياحضرة القاضى .. ما الصورة التى كونتها لنفســك بعد الاطلاع على ما وصلك من التحريات ؟ . اعتقد ان ميوله لم تتفق مع الآخرين ولم تكن تحوز التقدير ..

ـ وكم كان عمره حينما مات ؟ .

وصمت لحظة مفكرا .. وحين تذكر قال فى دهشة واضحة :

ـ سبعة وثلاثون عاما .

اى اقل من عمر آشبى الآن بثلاثة أعوام كاملة ! لقد ساءه ان يدرك ان اباه لم يتح له ان يعيش مثله .. بل انهى حياته فى وقت مبكر ..

ـ هل تجد الحديث فى هذا الموضوع مؤلما ؟.

وهز آشبى راسه نفيا ..

ـ هل كان لك اصدقاء فى المدارس التى عملت فيها ياسيد آشبى ؟.

وفكر لحظة .. انه كان منطويا على نفسه .. يكاد يكون بـلا اصدقاء . ولكنه لم يقرر ذلك بل اجاب ببساطة :

ـ قليل من المعارف .. مثل اى انسان .

ـ ولكنى اسالك عن .. أصدقاء .

ـ قلما اتخذت لنفسى صديقا .

ـ ولا أحد ؟.

ـ فى الحقيقة .. لا احد بالمعنى المفهوم فى الصداقة ..

ـ اذن .. هل افهم من ذلك انك كنت كالذئب المنفـرد عن القطيع ؟.

ـ ليس ذلك تماما .. كنت منضما لبعض الفرق الرياضية .. وطالما اشتركت فى مباريات كرة القدم والبيسبول والهوكى ..

ـ ومع ذلك لم تحاول ان تخلق علاقات المودة والالفة مع بعض رفاقك ؟.

ـ لعلهم هم الذين لم يحاولوا ذلك .

ـ اكان ذلك لما سمعوه عن ابيك ؟.

ـ لا ادرى .. ولم يقل ذلك احد .

ـ الا ترى ياسيد آشبى .. انك خجول مفرط الحساسية !
لقد عرفنا انك كنت من ألمع التلاميذ واذكاهم وفى المقدمة دائما ..
ولكنك كنت فى نفس الوقت تبدو ميالا للحزن والتشاؤم . تنظر
الى الدنيا بمنظار قاتم .

وادرك مما لمحه على المكتب من التقارير الكثيرة التى جمعوها من
مختلف المدارس انهم تشطوا فى جمع تلك المعلومات .. ولاشك انه
كان بينها تقرير ذلك العميد العجوز ذى اللحية الطويلة الذى طالما
الحف عليه ان يختار لنفسه فرع البحوث العلمية .. ليختفى فى
اى معمل .. ويجنب نفسه مشقة التدريس والاصطدام بالناس،
مع حالته النفسية المشار اليها ..

كذلك كان واضحا مما ذكرته الصحف انهم لم يستجوبوا فقط
كل الاولاد والبنات المقيمين فى المنطقة ، بل استجوبوا كذلك جميع
اصحاب المشارب والمقاهى وعمال المسارح والسينمات ومحطات
البنزين فى دائرة اتساعها عدة «أميال» ..

وفى نفس الوقت نشط رجال المخابرات والمباحث الجنائية
لنبش ماضى بيل ، وكل مايتصل بطفولتها وحياتها المدرسية ،
ومعارفها من الجنسين .. اى ان التحقيق قد شمل مئات من الناس
في كل مكان ..

كل ذلك قد تم فى نحو اسبوع ، فياله من مجهود ضخم .. مما
جعله يتذكر فيلما علميا عرض فى مدرسة كرستيفو منذ سنوات
يوضح كيف تنظم كرات الدم البيضاء نفسها كأى جيش عالى كبير،
لتحاصر جرثومة دخيلة على الجسم ، ولا يهدأ لها بال حتى تقضى
عليها قضاء مبرما ..

عجبا ! الوف من الارواح تزهق فى حوادث السيارات والقطارات
والطائرات والسفن .. والوف يلفظون أنفاسهم فوق اسرتهم كل
مساء .. ولا تتحرك شعرة واحدة من ذلك الجهاز الضخم .. ولكن
حين يصرع مجهول فتاة تدعى بيل شيرمان .. خنقا فى غرفة نومها
فالدنيا تنقلب راسا على عقب .

كان ذلك لان ذلك المجهول قد جرؤ على احداث شروخ جسيمة
فى المرآة التى اعتاد المجتمع ان يرى فيها وجهه . فأفسد الرؤية

وحطم المقاييس . وتخرج عن المبادىء التى لا يؤمن بها احد الا مراءاة وخداعا وكذبا .. ان ماحدث لبيل من السهل أن يحدث لأى انسان فى اى مجتمع ومهما كان مركزه .. ولكن المجتمع الذى تقدسه اكريستين .. يثور ثورة عارمة ، ويصر على ضرورة العثور على ذلك الانسان .. ويقتص منه .. بل ليبتره من الوجود بترا بلا هوادة او رحمـة ..

ـ لماذا تبتسم ياسيد آشبى ؟.

ـ وهل تريد أن اعبس يا سيدى القاضى ؟ .

وقد تعمد أن يناديه بلقبه الرسمى .. وفى نفسه غضب .

ـ اترى فى هذا التحقيق شيئا مضحكا ؟.

ـ لا .. لا .. وأؤكد لك اننى افهم انك تختبر قوة احتمالى عقليا . ولعلك قد لاحظت اننى أجيب عن اسئلتك بقدر استطاعتى حتى ايسر لك السبيل الى ماتريد .. وسأظل تحت امرك حتى تفرغ منى ..

واضطر لويس للابتسام .. وكان ريان فى حاجـة لمزيد من الكياسة حتى يمضى فى مهمته مع مثل هذا الرجل ولم يغب عنه ذلك . فتحرك فى مقعده فى قلق وسعل ثم هرس عقب سيجارة فى المنفضة .. وقضم طرف سيجار جديد ثم لفظه أمامه واشعله ..

ـ لقد تزوجت حديثـا يامستر آشبى .. اليس كذلك ؟.

ـ كنت فى الثلاثين ..

ـ هذه سن متأخرة . هل كانت لك مغامرات قبل الزواج ؟.

وشد ما احنقه هذا السؤال .. فلم يجب على الفور .

ـ الم تسمع سؤالى ؟.

ـ اينبغى على ان اجيب ؟.

ـ الأمر متروك لك .

ولابد ان الآنسة مولر .. كانت تتنصت لما يقال . فالباب مفتوح على مصراعيه .. ولا صوت للآلة الكاتبة ، ومع ذلك .. فما الذى يهم آشبى ان كانت تتنصت ام لا .

ـ حسبما افهم من سؤالك وعبارة « مغـامرات » فلم تكن لى مغامرات ابدا يا سيد ريان .

ـ مجرد استلطاف ؟ .
ـ ولا هذا . .
ـ هل تعنى بأنك قاطعت النساء حتى بلغت الثلاثين ؟.
ـ لا . . مجرد عدم اهتمام .
ـ ألم تكن لك صديقة قبل الزواج ؟ .
وصمت مرة اخرى . . لماذا لا يصارحهما بكل شيء ؟.
ـ ليس ذلك تماما . . كان يحدث نادرا .

هل يحاولون ارغامه بهذه الطريقة على الاعتراف ؟ هل ينظرون الى ذلك السلوك باعتباره أمرا غير مألوف ؟ .

ـ اظنك ستصر على انك لم تلق انتباها للآنسة بيل شيرمان . . طول الفترة التى اقامتها فى دارك ؟.

ـ نعم . . كنت لا اكاد اشعر بوجودها .

ـ ألم تمرض قط يا سيد آشبى ؟.

ـ بالحصبة حينما كنت طفلا . والتهاب رئوى منذ عامين فقط .

ـ ألم تشعر بأى خلل فى جهازك العصبى ؟.

ـ ابدا . . فيما اعلم . بل انى اعتبر نفسى عاقلا تماما .

ولعله كان مخطئا وهو يجيب بتلك اللهجة . حقيقة انه فى مثابة الدفاع عن نفسه . . ولكن أعداءه يتربصون به الفرص مسلحين بأسلحة كثيرة يجهلها . . لانهم يمثلون القانون . فهل تراهم يسلكون السبل الشريفة للبحث عن المجرم الحقيقى . . ام يدفعهم حقدهم عليه لخلق الأدلة التى تدينه ليجعلوا منه الضحية التى يتعطش المجتمع لدمائها ؟.

ايسعون وراء العقاب ؟ حتى يهدأ بال الناس ويعيشون فى طمأنينة وامان ؟.

وهل ينظرون الى آشبى باعتباره الرجل الذى اصدر المجتمع حكمه عليه بلا مقدمات او مبررات . على حين كان المجرم فى نظر

السيد هولوى . رجل الشرطة الذى حنكته التجارب والايام . يروح ويجىء وحول راسه هالة من نور ؟. ولكنه بعد عام او عشرة اعوام او عشرين عاما او اقل او اكثر وحين تتاح لهنفس الظروف والفرصة الملائمة .. يكرر جريمته مرة اخرى .. ولو نظر كل فرد فى ذلك المجتمع فى داخل قلبه وفتش فى نفسه وضميره .. لوجد نفسه معرضا لما حدث لآشبى .

كل ذلك محتمل .. ولكن لماذا يلصقون به ذلك الاتهام بالذات .. دون غيره من افاضل الناس ؟.

حتى السيد جبس ناظر مدرسته .. الذى يعلم عن خلقه ما يعلم . لم يستنكر مثل تلك التهمة . فى غمضة عين نبذوه . ولو استطاعوا لرجموه . حتى يقيموا فى أوسع الميادين تمثالا يؤكد طهارتهم ونقاء سريرتهم !.

ــ لا اظن ان هناك اسئلة اخرى أوجهها اليك ..

ماذا سيصنعون به ؟ هل سيلقون عليه القبض فورا ؟ لم لا ؟ واحس بجفاف فى حلقه .. فقد كان يشعر بالذعر فعلا . بل لقد بدا يلوم نفسه اجفاف لهجته مع قاضى التحقيق ، فامثال هؤلاء الناس يحبون من يحرك شعور العطف فى نفوسهم ..

ــ وما رايك يا لويس ؟.

تلك كانت المرة الاولى التى ينادى فيها ربان الطبيب النفسانى باسمه فى مواجهته .. لقد اطلق ربان القط من الحقيبه اخيرا . وكان يتحدث فى مرح .. يحمل بين طياته شيئا من الصرامة .

ــ لابد انك سمعت بضيفنا يا سيد آشبى .. فوستر لويس من المع الاطباء النفسيين من المدرسة الحديثة ، ولقد دعوته كصديق ليحضر التحقيق فى هذه القضية . ولست ادرى اية فكرة كونها عنك وانا شخصيا اعتقد انك قد اجتزت امتحانك بتفوق .

وابتسم الطبيب وهو ينحنى فى ادب . وفى النهاية قال :

ــ ان السيد آشبى .. بلا ريب .. على جانب كبير من الذكاء ــ

وقال ريان فى شىء من الخبث :
ــ اعترف بأنى شعرت بالارتياح لأنه كان معى اهدأ واظرف من المرة السابقة . ففى المرة الأولى حينما شرعت فى استجوابه كان .. غاضبا .. ثائر الاعصاب .. مما ترك فى نفسى اثرا سيئا .
ثم التفت الى آشبى واستطرد :
ــ شكرا يا سيد آشبى .. وسوف استمر فى التحقيق حسبما تمليه على مقتضيات وظيفتى .. واود ان انتهى منه سريعا .
ومد يده . ولم يدر ان كانت علامة خير أم شر .. ومد فوستر لويس يده المعروقة اليه ايضا ..

ولم تخرج الآنسة من الغرفة الجانبية التى دخلتها لتكتب على الآلة الكاتبة . بيد أن الوقت كان متأخرا والمبنى ساكنا . ومصابيح قليلة تضىء الممرات والردهة الأمامية .

ومضى آشبى فى حذر وقلبه يدق فى عنف .. انهم لا ينوون القبض عليه بكل تأكيد . وها هو ذا يخرج من الباب الامامى دون ان يجد احدا فى انتظاره . أو يلاحظ ان مخلوقا يتعقبه وهو يسير فى الطريق الرئيسى .

وبدلا من ان ينطلق فورا الى سيارته . نظر حواليه بحثا عن مشرب قريب .
لم يكن ظمآن .. وما كانت به حاجة حقيقية الى الشراب . بل شعر بالرغبة فى ان يفعل شيئا لم يفعله من قبل .. فمنذ قليل حينما لمح نظـرة استنكار من كريستين وهى توجه نظره الى عدم الاسراف فى الشراب .. عاندها فاحتسى كأسين من الويسكى .. الواحدة تلو الاخرى .

وهل كانت حين الحفت فى ان ترافقه الى لينشـفيلد .. الا مشفقة عليه من ان يقع تحت سوط الاغراء .. فيغفل ما هو مقدم عليه ؟ .
ام لعلها كانت تتوقع ان يكون الاستجواب شاقا عنيفا . وارادت أن تكون بجواره تهون عليه وترفع من معنوياته .. وفى نفس الوقت تمنعه من الاسراف فى الشراب ايضا . او ربما مما هو اسـوأ من

الشراب. انها كانت قليلة الثقة به .. متأثرة بالشعور العام للمجتمع الذى هى احد افراده البارزين ..

كانت تثق به نظريا ، ولكن . الم تمر بها لحظات احست فيها بمثل ما احس به ابن عمها وستون .. او حتى ريان ؟.

لأن ريان لم يؤمن ببراءته قط ، رغم ما اظهره من مرح فى النهاية ولعله ينتظر اى هفوة يقع فيها حتى يوجه ضربته القاضية .. فلم تكن الا مسالة وقت يجمعون فيه الأدلة ثم يقدمونه لمحكمة الجنايات ..

وكان الثلج قد بدا يسقط كقطع القطن الابيض ، وقد اغلقت المتاجر ابوابها تاركة نوافذ معروضاتها مضاءة للدعاية والاعلان .

ورأى مشربا على الناصية .. لكنه مر به دون أن يدخله حتى لا يقابل احداً من معارفه فهو راغب عن التحدث الى اى انسان ، وربما كان ريان وفوستر لويس يجلسان بداخله لقربه من مكتب قاضى التحقيق . وأخيراً ولج مشربا فى نهاية الشارع ارتاحت له نفسه لدفء المكان وانواره الخافتة الهادئة .. ولم يكن قد دخله ابدا من قبل .

وكان التلفزيون يعمل وعلى شاشته الفضية رجل خلف نضد صغير يقرأ نشرة الاخبار ويرفع راسه من حين لآخر لينظر الى المستمعين .. وكان فى طرف المشرب رجلان احدهما فى ثياب العمال وهما يتحدثان فى العمارة والبناء.

واتكأ آشبى فوق نضد المشرب الطويل ، ورمق زجاجات الخمور بنظرة فاحصة ، ثم اشار الى نوع من الشراب لم يسبق له ان رآه .

ــ اهذا نوع جيد من الشراب ؟ .

ــ لابد ان يكون كذلك مادمنا نقدمه فى مشربنا ..

ولن يستطيع مخلوق ان يتصور مقدار سرور آشبى لوجوده هناك . فهم لا يعلمون مثلا انه قد مرت أعوام طويلة على آخر مرة دخل فيها مشربا . بل لعل ذلك لم يحدث فى حياته .. سوى مرتين ..

شيء واحد جذب بصره في ركن المشرب .. جهاز الحاكي الزجاجي الاسود وما بداخله من شتى الاغنيات والموسيقى الراقصة وحوله دائرة متحركة من المصابيح الملونة . ولولا ان التلفزيون كان يعمل لنهض اليه ووضع في ثقبه قطعة نقود ليستمتع ببعض الأغنيات التي كانت تبعث في نفسه النشوة والسرور ايام الشباب والصبا ..

والشراب ايضا .. كان مذاقه غريبا في فمه .. يختلف طعمه عن ذلك الذي اعتاد أن يشربه في البيت .. وهذا الساقي ذو الابتسامة العريضة الجذابة وسترته الناصعة البياض .. كل ذلك كان عالما محرما عليه .. أولا لأنه زوج فاضل ، وثانيا لأنه مدرس يهذب النشء .. ومن واجبه أن يحترم نفسه قبل كل شيء ويحرم نفسه كل متعة أو لهو أو سرور .. كأنه ليس انسانا من لحم ودم وروح .. له نفس الشعور والأحاسيس التي لوستون فوجان .. او اي صديق من اصدقاء كريستين !. حتى كريستين كانت ترفه عن نفسها احيانا فتذهب الى حفلات الكوكتيل دون أن يجد في ذلك غضاضة .. ولم يخطر بباله قط أن يسألها ماذا شربت أو مع من جلست ..

ولم يحرم عليه أحد شيئا .. بل هو الذي وضع نفسه في ذلك القفص الحديدي .. واختار الانطواء والعزلة بمحض اختياره ؟ وشرع تلك المحرمات لنفسه .. متخيلا انه بذلك يضع نفسه في مرتبة أسمى من غيره من عباد الله . حين يتمسك بمبادىء الفضيلة والشرف ..

ثم .. ماذا كانت النتيجة ؟.

لقد اطلق نفسه اخيرا من اسرها .. وبدأ ينفض عن نفسه ثقل القيود والأغلال كالطير الحبيس حينما تفتح له النافذة ويشم نسيم الحرية . انه ينفض جناحيه في عنف ويتأهب للانطلاق ..

وتنفس في ارتياح . وهو ينظر حواليه . كان قد أشار توا للساقي بان يعيد ملء كاسه . فهو الآن في مشرب عام على الطريق بمدينة ليتشفيلد على مسافة اثنى عشر ميلا من منزله وزوجته .. يملأ رئتيه بتلك الرائحة الغريبة .. وينظر الى وجوه غريبة لم يرها

ويسمع ضحكات غريبة تصك اذنيه .. انه كالسفينة قطعت حبالها التى تربطها باليابسة فجأة . فانطلقت لا تلوى على شيء

وكان الساقى ينظر اليه وكأنه يسأله اذا كان يريد كأسا ثالثة .. ولعله ظنه احد أولئك الاغراب الذين يهبطون المدينة بمفردهم ليفرقوا احزانهم فى الخمر ، ولقد راى الكثيرين منهم يفدون على مشربه .. بعضهم ينتهى به الأمر الى الانخراط فى البكاء الشديد .. والبعض الآخر تثور فيه غريزة القتال فيتشاجر مع اى مخلوق ..

ولكنه .. لم يكن ينتمى الى اى من تلك النماذج البشرية .

ـ كم تريد ؟.

ـ دولارا وعشرين سنتيما ..

وغادر المشرب .. ومع ذلك فلم يكن ينوى العودة للدار .. فلربما كانت هذه آخر ليلة يتمتع فيها بالحرية والحياة قبل ان يقرن ريان القبض عليه .. اما ماذا يحدث عندئذ .. فلا يدرى تماما . سوف ينكر الاتهام من اساسه ؛ وسيكلف اكبر المحامين فى هارتفورد للدفاع عنه .. وهو واثق من انهم لن يجدوا دليلا واحدا ضده .

واذ انطلق فى الطريق .. تذكر شيلانيشان حينما مر بامرأة شابة ذات شعر ذهبى كانت تحمل على ذراعها طفلة صغيرة . وادار راسه ليملأ ناظريه بوجهها .. وكانت هى الاخرى ذات عنق ابيض طويل نحيل .. وتوقف برهة ليحشو غليونه ، فاكتشف انه يقف أمام مشرب كبير يسطع بالأضواء « كافتريا » . وكان كل شيء فيه يتلألأ بالبياض .. الجدران والموائد ونضد المشرب الطويل .. ووسط كل ذلك البياض .. لم يكن أمام النضد الطويل سوى الآنسة مولر تتناول طعامها .. وكانت توليه ظهرها .. وترتدى قبعة صغيرة من الفراء وسترة انيقة محلاة بالفراء ايضا ..

اى شيطان جعله يدخل هذا المشرب ؟ كان يشعر فى اعماقه ان هذا اليوم يومه ، يستطيع ان يستمتع فيه بكافة حقوقه ورغباته الى مالا نهاية .. ينبغى ان يشرب كأس الحرية حتى الثمالة قبل أن يضعوه بين جدران أربعة .. وكان يعلم حينما لثم جبهة زوجته ان ذلك المساء لن يعادله اى مساء مر به طوال حياته ..

ـ كيف حالك يا آنسة مولر ؟.

ونظرت اليه مدهوشة .. وكانت تمسك بقطعة من السجق الساخن .
لم يبد عليها الذعر .. وربما ادهشها ان ترى رجلا مثله فى هذا المطعم ..
ـ الا تجلس ؟.
لم لا ؟ وطلب قدحا من القهوة وبعض السجق .. وكان كلاهما يرى الآخر فى المرآة الكبيرة خلف نضد المشرب ويبدو ان الآنسة مولر كانت تعتبره مضحكا .. ولم يغضبه ذلك .
ـ ارجو الا تكون حانقا على رئيسى ..
ـ ابدا .. على العكس من ذلك انا اعلم انه يؤدى واجبه ..
ـ ثمة آخرون لا يرون رأيك .. وعلى اى حال لقد خرجت من الامتحان بتفوق ..
ـ اتعتقدين ذلك ؟.
ـ حينما قابلتهما بعد انصرافك .. كان البشر يعلو وجهيهما . وظننت انك ذهبت الى منزلك .
ـ وما الذى جعلك تظنين ذلك ؟
ـ لست أدرى .. لابد أن زوجتك تشعر بالقلق عليك .. وتنتظرك .
ـ انها ليست قلقة على ..
ـ حسنا .. اذن .. ربما بحسب العادة ..
ـ أية عادة تقصدين يا آنسة مولر ؟.
ـ انك توجه اسئلة مضحكة .. اعتيادك التواجد فى بيتك .. فلم اتصور ابدا ..
ـ انى من طراز الرجال الذين يسهرون فى المدينة فى مثل هذا الوقت .
ـ شىء من هذا القبيل .
ـ ومع ذلك .. فقد غادرت مشربا منذ لحظات بعد أن جرعت كأسين من الشراب .
ـ كأسين بمفردك ؟.
ـ لم اكن قد قابلتك لسوء الحظ ... لماذا تضحكين ؟.

ـ لا شيء .. وارجو ان تكف من سؤالي ..
ـ اتريننى اضحوكة ؟.
ـ لا ...
ـ هل تذكرت شيئا يبعث على الضحك ؟.
ووضعت يدها فوق ركبتيه فى غير كلفة وقالت :
ـ انا لا اصدق ما يزعمه الناس عنك ...
ـ وما الذى يزعمونه عنى ؟.
ـ الا تعرف ؟.
ـ ثقيل الدم ؟.
ـ لم اقل ذلك .
ـ خشن الطباع ؟ جاد صارم ؟.
ـ بكل تأكيد
ـ رجل يصرح بصفة رسمية بانه لم يخن زوجته ابدا ؟.

ولاريب فى انها كانت تنصت لما دار بينه وبين ماضى التحقيق بهـا لم تدهش ، وكانت قـد انتهت من طعـامها وانهمكت فى طلاء شفتيها . .

قالت :

ـ اتركك الآن . يجب أن أعود الى بيتى .
ـ لا . . لا .
ـ ماذا ؟.
ـ قلت لا . . لقد وعدتنى أن تشاركينى فى تناول كأس واحدة
ـ لم أعدك بشيء . . انت الذى . . .

ـ حسنا . . مادمت انا الذى وعدت . . سوف احملك بعيـدا من هنا . . أما ذهبت ابدا الى مشرب الكوخ الصغير ؟ .

ـ لكنه فى هارتفورد !.
ـ بجوار هارتفورد . نعم . هل رايته من قبل ؟.
ـ لا . .
ـ هيا بنا . .
ـ ابعيد هو ؟.
ـ انه على مسافة نصف ساعة بالسيارة .

ـ ينبغي ان اخبر والدتي ..

ـ في وسعك ان تتصلي بها من هناك ..

ولو سمعه انسان يتحدث بذلك الثبات وتلك الثقــة ، لاقسم بانه خبير بمثل هذه المغامرات .. اما هو .. فكان يشعر في قرارة نفسه بانه محتال اثيم ينصب الشراك لايقاع ضحيته ..

سالته :

ـ ماذا لو هبت عاصفة وتعذرت علينا العودة ؟.

فاجابها جادا :

ـ لن يبقى امامنا سوى قضاء الليل .. في الحديث والشراب.

وجلل الثلج قمة سيارته بالبياض .. وفتح لها الباب .. ولأول مرة لمس ساعدها وهو يساعدها على الركوب .. وعندئذ اكتشف انه قد جرؤ اخيرا وبكل تأكيد على أن يصحب امــراة في نزهة بالسيارة .

ولم يكن قد اتصل بكريستين . ولابد انها سالت عنه ريان في منزله .. ولكن .. لا . انها لن تفعل هذا حتى لا تجازف بتعريضه للخطر .. ولاشك في انها قلقة لغيابه لا تعرف ما أصابه وانها تنظر من دقيقة لأخرى من خلال زجاج النافذة .. ولـكنها لن ترى من الطريق المظلم سوى قطع الثلج التي تملأ الفضاء كالقطن المنفوش .. ونحى تلك الأفكار بعيدا عن باله .

وكانت الفتاة تجلس بجواره .. قالت في بساطة

ـ أصدقائي يدعونني آني ..

اذن فقد اخطـأ حين ظن اســمها بيجي او برتا او مثل ذلك السخف .. أما آني فهو اسم موسيقى جميل .

ـ وانت ... سبنسر . انا أعرف فقد كتبته على الآلة مرارا .. والمشكلة هي انى لست قادرة على اختصاره .. فمــثلا من غير المستساغ ان اقول « سبن » . بماذا تدعوك زوجتك ؟.

ـ سبنسر .

ـ فهمت .

اجل .. فهمت أن كريستين ليست بالمراة التي تداعب زوجها او تدعوه بالقاب الطفولة ..

واصابه الفزع بغتة .. وخيل اليه ان كريستين تحدجه بنظراتها
أصابه فزع حقيقى حتى انه شعر بالدماء تتجمد فى عروقه وخطر
بباله امر آخر .. ماذا لو شاهدهما أحد الاصدقاء او لمحهما شرطى
فى منحنى الطريق ؟.

ولكنها اساءت تفسير صمته وانكماشه .

الفصل الرابع

حينما نظر الى الساعة الكبيرة فى المطعم آخرة مرة .. كانت
عقاربها تشير الى العاشرة الا عشر دقائق .. ولا يدرى هل بلغ
بكريستين القلق مداه فاتصلت بريان تسأله عنه .. وهل قام
ريان باخطار الشرطة للبحث عنه فاذا كانت قد تجنبت اثارة المتاعب
علانية .. فلعلها اقترضت سيارة أحد اصدقائها وخرجت بنفسها
للبحث عنه ؟.. ولكنها . حتى لو فعلت ذلك فاكبر الظن انها قد
عادت الآن لبيتها. ذلك لان ليتشفيلد ليست بالمدينة التى تضل فيها
قطة .. ولا يزيد عدد المشارب فيها على ثلاثة .. بالاضافة الى
مطعمين . ولن يخطر ببال احد أن يستفسر عنه فى تلك (الكافتريا)
ذات الجدران البيضاء التى أكل فيها السجق مع آنا مولر ..

ولم تفقده الخمر عقله .. وكان قد تناول ست أو سبع كئوس
ولكنها لم تؤثر فى ادراكه وتفكيره .. بل ظل متماسكا كامل قواه
العقلية . وفى ذهنه صورة واضحة جلية للموقف كله ..

ولو انهم علموا بأنه فى رفقة سكرتيرة ريان . ما استغرق الأمر
دقائق للعثور عليه . مع ان آنا مولر قد اتصلت بوالدتها تليفونيا من
« كابينة » المشرب المسمى بالكوخ الصغير ولم يجسر ان يرافقها الى
الكابينة .. كذلك لم يسألها ان كانت قد ذكرت لأمها مع من تمضى
السهرة .. او فى اى مكان .. الافضل له أن يكون حذرا ..

قالت له فى همس:

ـ من حسن طالعك انى أعمل مع قاض للتحقيق .. فلن تجد فتاة من الجرأة بحيث تخرج معك الآن ..

وكان المشرب يكاد يكون خاليا من الناس .. ولعله يمتلىء فى امسيات الجمعة والسبت .. وظلا فترة من الوقت وكانهماوحيدان كان الساقى ايطاليا ذا شعر قصير اسود .

ولقد توقع آشبى .. بعد ذلك التحقيق الذى أجرى معالساقى بشأن مصرع بيل ـ أن يدقق الساقى النظر اليه،او على الاقل يوجه اليه بعض الاسئلة . ولكن شيئا من ذلك لم يحدث . ولابد ان منظر آنا كان مالوفا لا يدعو للشك او الريبة . فقد كانت تتصرف فىحرية تامة كانها فى دارها .

ولم يكن فى استطاعتهما ـ حيث كانا ـ أن يشاهدا ما يجرى داخل المشرب . ولكن الساقى كان فى وسعه أن يراهما خلال نافذة المطبخ الضيقة وكلما سمع آشبى الباب الخارجى يفتح ارتعدت مفاصله وتوهم ان رجال الشرطة فى طريقهم اليه . لاشك انهم يبحثون عنه الآن ويقلبون كل حجر للعثور عليه .. وسيكون موقفه عصيبا اذ كيف يتسنى له أن ينفى عن نفسه تهمة الهرب . أو على الاقل كيف يقنع ريان والراى العام .. انه ليس كما بدا فى اول الامر .. المدرس الحيى الخجول الذى لم يفكر أبدا فى خيانةزوجته طول فترة زواجهما . والواقع .. انه لم يبذل اى مجهود ليحول مجرى الاحداث .. فكلما طلبت آنا احدى الاغنيات ، ذهب الى الآلة الموسيقية ليضع فى حلقها قطعة من النقود .. تلك الآلة التى طالما اثارت مشاعره وكان يحلم بها فى الماضى .

ترى هل يبحث عنه رجال الشرطة حقا ؟.

ومع ذلك فلن يخطر بفكر كريستين انه فى هذا المشرب مع فتاة .. ويل له ! . ما كان يجدر به ان ياتى بها الى ذلك المكان . وحين دعاها الى كاس من الشراب لم يكن يتوقع انها ستقبل دعوته وتاخذها ماخذ الجد .. بل تتمادى معه على هذا النحو ...

ولقد حاول - بصدق - عقب الكأس الاولى ان يقنعها بضرورة عودتها الى الدار .
وسألها :
- اما خرجت أبدا مع ريان ؟.
وضحكت عاليا .. بطريقة لم يرتح اليها .. ولكنها لم تجب .
قالت له :
- تنصرف .

وقبل ان يبرح الغرفة دفع الحساب للساقى ثم انطلق معها وقطعا المسافة المضاءة حيث تقف السيارات .

وكان الثلج المتساقط كثيفا ناعما وكل شيء مجلل بالبياض .. وحين فتح باب سيارته .. شعر بقسوة البرودة تسرى فى جسمه من مقبض باب السيارة . أم لعلها اعصابه الثائرة التى جعلته يرتعد فرقا لا بردا ؟.

وومض فى ذهنه خاطر .. لم يستمر سوى ثانية واحدة .. ان الأمر لا يعدو ان يكون شركا معدا له من ريان نفسه ..

فقد تقف من لحظة لأخرى احدى سيارات الشرطة بجواره وتمتد يد ثقيلة فتوضع على كتفه .. وقد آمنوا جميعا بارتكابه الجناية الاولى .. ولن يستطيع ان ينطق بحرف دفاعا عن نفسه !.

والتصقت به الفتاة ، ولكنه اقصاها عنه فى خشونة وعندئذ بدرت منها ضحكة ساخرة هازئة تحمل كل معانى الاحتقار .
كانت تركله بقدميها فى قسوة ووحشية .. ومقت شديد .. انها ستجعل منه أضحوكة .

وربما كانت اقوى منه جسدا . ولكن .. فى ذلك المكان الضيق الخلفى من السيارة .. لم يكن فى وسعها المقاومة او التخلص من جسمه وهو يجثم فوقها .

وكان عنقها سميكا .. وعضلاته قوية .. على عكس عنق شيلا الرفيع الناعم البض ، ذلك العنق الذى طالما تمنى أن تتحقق احلامه فيضع اصابعه عليه ..

وحين خمدت حركتها .. عاد الى المشرب وحيدا ..

ـ شراب وصودا ..

واتجه مباشرة الى مقصورة التليفون . وهو يتوقع ان ينظر اليه الساقى فى دهشة وفضول ، ولكن الرجل لم ينتبه اليه لانه كان مشغولا بالتحدث مع ايطالى آخر حديثا وديا ، وبما كان هو صاحب السيارة الكاديلاك التى تقف امام الباب .

وكان فى وسعه ان يراهما من المقصورة .. وان يرى كذلك العميل العملاق ذا الجثة الضخمة الذى كان يجلس على النضد الطويل .. يتأمل كأسه .. كانما يرى فى انعكاس الشراب صورة صديقته ..

ـ صلنى بمركز الشرطة فى جوش .. من فضلك .

ـ هل تقصد مركز الشرطة هنا فى هارتفورد ؟.

ولكنه أصر على طلبه .

ـ لا .. مكالمة شخصية .

واستغرق ذلك بعض الوقت . وكان يسمع عمال التليفون يتحدثون معا على الخط الطويل .

ـ هالو .. اهذا مركز الشرطة فى جوش ؟ اريد ان اتحدث مع الملازم آفريل .

ولكن لماذا لا يهرب ؟ ان لديه متسعا من الوقت للتخلص من الجثة .

ولكن لماذا يهرب .. والى اين ؟.

هذه هى الطريقة السهلة .. سوف يشعرون بانتصارهم .. وسيسعدهم ذلك .. وربما افادهم الحادث فى ترقية استثنائية .. بعد أن يبزغ نجمهم فى سماء المجتمع .

ـ السيد الضابط فى اجازة هذا المساء .. هل من رسالة تحب ابلاغها اليه ؟.

ـ لا شكرا .. انه موضوع شخصى .. سأتصل به فى منزله.

كم كانت الساعة ؟ انه لم يحمل ساعته معه . وما كان فى وسعه من مكانه فى المقصورة ان يرى ساعة الحائط فى المشرب .. يا الهى لو استطاع ان يجعل آفريل يطير اليه ! . لكى يفوز به حيا قبل غيره !.

وعثر على الرقم فى دليل التليفون ـ وتنفس الصعداء حين سمع صوت آفريل ..

قال له :

ـ انا سبنسر آشبى ..

وكأنما كان يقول .. انا رئيس الولايات المتحدة .. وابتلع لعابه ثم اردف بسرعة :

ـ انا الآن فى مشرب الكوخ الصغير بالقرب من هارتفورد .. واحب ان تحضر قبل غيرك لتقبض على ..

ـ هل انت بمفردك ؟.

ـ الآن .. نعم ...

ثم وضع السماع .. ولقد كان يفضل لو ظل مكانه فى المقصورة بيد ان ذلك قد يجذب الانظار اليه .

لماذا لا يتصل بكريستين لتقول لها .. وداعا .. لقد كانت نعم الزوجة التى ترعى زوجها رغم مساوئها .. ولم يكن لها ذنب فى ذلك .. ولابد انها تجلس الآن بجوار التليفون .. وربما دق الجرس وحين تهرع اليه فى لهفة لا تسمع سوى انفاس تتردد فى اذنها من ذلك المجهول كما حدث مرارا .

ولكنه بدل أن يتصل بزوجته .. ذهب الى البار ورفع نفسه فوق احد المقاعد العالية .. وكان الرجلان مازالا يتحدثان بالايطالية فأفرغ نصف كأسه فى حلقه مرة واحدة . وحانت منه نظرة الى المرآة الكبيرة امامه واذا به يلمح صورته بين زجاجات الخمور .

ورمقه السكير العاشق بنظرة طويلة وقال :

ـ هل استمتعت بوقت طيب يا صديقى ؟.

وأشد ما كان يخشاه .. أن يكشفوا أمره قبل وصول آفريل..
فأومأ برأسه وهو يبتسم ابتسامة باهتة .. وتحول الساقى نحوه
كان ملاكما سابقا مفتول العضلات .. وظهر على ملامحه أنه يفكر
ببطء ليحل لغزا ما . وبدا كأنه يجهد ذهنه فى تذكر أمر معين ،ونظر
الى الغرفة الخلفية من خلال النافذة الصغيرة .

ولما عاد .. قال شيئا لصديقه الايطالى الذى كان ما يزال واقفا
وقبعته العريضة فوق رأسه.

واحس آشبى بالخطر . فانهى ما بكأسه . وطلب كأسا أخرى
وهو فاقد الأمل فى أن يجاب طلبه .

وكان الساقى فى انتظار عودة صديقه حيث بعثه فى مهمة
بالخارج .

سوف تمضى عشر دقائق اخرى قبل ان يستطيع آفريل
الوصول .. حتى ولو استعمل جميع آلات التنبيه الحادة فى الدنيا
كلها ..

وتظاهر آشبى بانه يشرب من كاسه الفارغة .. بيد أن أسنانه
كانت تصطك بحافة الكأس .

ولم يرفع الساقى بصره عنه .. وبدا كأنه يتأهب .. وكانت له
ذراعان يكسوهما الشعر . وفك عريض ، وانف مجدوع كأنما قد
هوت عليه مطرقة فهشمته .

ولم يسمع آشبى الباب حينما فتح . ولكنه أحس بتيار الهواء
البارد يصفع قفاه . ولم يجرؤ على النظر وراءه وهو يسمع الرجل
الايطالى يتكلم فى لغة لم يفهمها .. وفى اهتمام بالغ .

وذلك ما كان يخشاه آشبى .. لن يصل آفريل ابدا فى الوقت
المناسب .

والتف الساقى خلف النضد .. وعيناه مثبتتان عليه .. ولكنه
لم يكن البادىء فى ضربه .. بل الايطالى ذو القبعة العريضة ..
وكاد يسقط وهو يحاول الهبوط من مقعده .. وانهالت عليه اللكمات
من كل صوب .

وحاول آشبي أن يقول لهما !

ـ لقد دعوت الشرطة بنفسي ..

ولكن احدا لن يصدقه . فلم يعد هناك من يصدقه الآن . عدا انسانا واحدا .. هو الرجل الذى قتل بيل ! .

كانوا يضربونه فى عنف وقسوة .. وراسه يدور عقب كل ضربة كأنها الزكيبة التى يتمرنون عليها فى الملاكمة ، واندفع اليه الرجال من كل صوب .. وخلت المقاصير من زبائنها .. ووقفت الفتيات جانبا ينظرن وفى عيونهن دهشة . وربما تشف ايضا .

وحينما وصل الضابط آفريل .. تسبقه آلة التنبيه الحادة .. ودفع الباب محاطا باثنين من رجال الشرطة الاقوياء كان سبنسر آشبى ملقى على ظهره منذ فترة طويلة امام « البار » وهو جثة هامدة .. وحطام كأسه متناثرة حواليه .. وخيط من الدماء يتصل بين شفتيه والأرض .

« تمت »

هيئة قناة السويس

تعلن هيئة قناة السويس « ادارة الأشغال » عن طرح اعمال الصيانة والتشغيل السنوية المبينة فيما يلى ويمكن الحصول على نسخة من مستندات كل عملية من مكتب المناقصات والعقود بادارة الاشغال بالاسماعيلية نظير دفع الرسم المقرر قرين كل عملية وتقدم العطاءات داخل مظروفين يختم الداخلى منهما بالشمع الاحمر ويذكر به اسم العملية وتاريخ فتح المظاريف ويعنون المظروف الخارجى باسم السيد رئيس وعضو مجلس الادارة المنتدب هيئة قناة السويس « ادارة الأشغال » بالاسماعيلية .

اسم العملية	تاريخ فتح المظاريف	ثمن المستندات	مصاريف البريد	قيمة التأمين الابتدائى
	ظهر يوم	جنيه	مليم	
صيانة المبانى والتحسينات البسيطة ببور سعيد وبور فؤاد والاسماعيلية	الاثنين ٦٤/٥/١١	١٠	٧٥٠ر٠	١٠٠٠جنيه عن كل قسم
صيانة السخانات وافران البوتاجاز ببور سعيد والاسماعيلية وبور توفيق	الاثنين ٦٤/٥/١٨	١	١٠٠ر٠	٥٠ جنيها عن كل قسم
صيانة واصلاح الآلات الكاتبة والحاسبة ببورسعيد والاسماعيلية وبور توفيق	الاثنين ٦٤/٥/٢٥	١	١٠٠ر٠	٥٠ جنيها عن كل قسم
لتفيذ اعمال مختلفة بداخل المنطقة الجمركية ببور سعيد « اعمال صيانة الميناء »	الاثنين ٦٤/٦/ ١	٢	٢٠٠ر٠	٥٠٠ جنيه
كسح خزانات التحليل بمبانى الهيئة بالاسماعيلية	الاربعاء ٦٤/٥/٢٠	١	١٠٠ر٠	٥٠ جنيها
توريد رمال خشنة وناعمة من محاجر الهيئة	الاربعاء ٦٤/٥/٢٧	١	١٠٠ر٠	٥٠ جنيها



الدار القومية للطباعة والنشر

وزارة الثقافة والإرشاد القومى

الدار القومية للطباعة والنشر

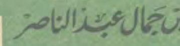






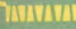


تعمل على تحقيق الثورة الثقافية التى نادى بها الرئيس جمال عبد الناصر

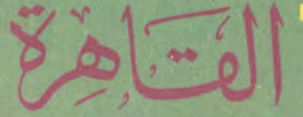


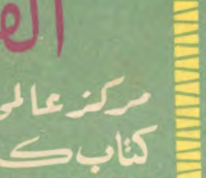






القاهرة







مركز عالمى للإشعاع الثقافى
كتاب كل ست ساعات



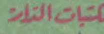








مكتبات الدار



نيويورك لندن
الجزائر بيروت
طرابلس بغداد
الخرطوم الاسكندرية
القاهرة